أزاهر

دينية . ثقافية . اجتماعية

العدد ٩٢ رمضان ١٤٤١ هـ / أيار ٢٠٢٠م

نشرة فصلية مجانية
تصدر عن أزهر البقاع



كورونا كوفيد
عدونا العنيد !



أزاهـــر

دينية ـ ثقافية ـ اجتماعية

مجلة فصلية مجانية تصدر عن أزهر البقاع، وهي مجلة شاملة ومنوعة، تعنى بالقضايا الدينية والثقافية والإجتماعية، يساهم في كتابتها مجموعة من أصحاب العلم والرأي الحر والفكر المستنير من لبنان والوطن العربي، قال تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) وبالاستناد إلى هذه الآية الكريمة وأمثالها أردنا أن تكون مجلة أزاهر (مدرسة للمتعلم وتذكرة للعالم) من أجل الرقي بالمستوى الثقافي والحضاري للقارئ الكريم، آملين أن تشارك المجلة في النهضة العلمية والفكرية لوطننا العربي وعالمنا الإسلامي، والله من وراء القصد.

Designed By : Fadi Zaarour / fadizarour1977@gmail.com - 76309245

كلمة العدد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، و أما بعد:

من المؤسف أن وطننا لبنان قد أصبح يتعرض لأزمات متتابعة، الواحدة منها تولد الأخرى، و هذا ما أصبح معروفا، ولكن يبقى الفساد في مقدمة من يسبب معاناة البلاد والعباد، والذي يظهر في مجالات عدة في حياتنا اليومية، و يجعل من الصعب توقع نجاح أي إصلاح مما يشاع أنه هدف خطة إنقاذية، فما لم يتم التصدي لمظاهر الفساد، فكل الخطط لا يقدر لها النجاح، مهما كان حسن النوايا أو الرغبة في الإصلاح. لذا من الضروري أن ترافق أي خطة إصلاح خطة لمعالجة الفساد، الذي إستشرى في المرافق العامة و صار ملازما للإدارة، و فتح الباب لبعضهم ليستغلوا الظروف للإثراء على حساب أخوانهم المواطنين، بلا وازع من ضمير أو إلتزام بقيم الدين، بعد أن أمنوا أن لا مسؤول يحاسبهم، و لا قضاء يحاكمهم !

و في هذا الواقع المؤلم إنتشر وباء كورونا، و كانت له إنعكاسات سلبية للغاية على مجمل الحياة الإنسانية، و مما زاد الطين بلّة المشادات الكلامية، التي ظهرت إثر منع التجمعات، و تعطيل بعض مؤسسات الدولة اللبنانية، و عدم إقامة صلاة الجماعة و غيرها من مظاهر الحياة العامة.

و هكذا جاء مقال سماحة مفتي زحلة و البقاع الشيخ خليل الميس بعنوان (الوباء القاتل و فقه النوازل)، ليضع النقاط على الحروف و يقدم إجابة وافية عن موقف الفقه الإسلامي من النازلة بصفة عامة، و عن نازلة الوباء بصفة خاصة،

و في هذا العدد و كما تعودنا مقالات دينية مثل مقال الشهر المبارك، و مقال مع النبي في شهر رمضان، و مقال موازنة بين الشريعة و القانون ، و مقال الإسلام و مفهوم حوار الحضارات و غيرها، كما جاء العدد حافلا بمقالات سياسية و أدبية كتبها أساتذة أفاضل من لبنان و دول عربية، و مواضيع هذه المقالات تهم القراء الكرام راجين أن تنال رضاهم ، و حتى نلتقيكم في عدد قادم نترككم بحفظ الله ، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

آملين أن تلقى العناية و الرضا من قراء مجلتنا أزاهر، و حتى نلتقيكم في عدد جديد، نترككم بحفظ الله، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

أسرة التحرير :
د.رعد مقبل العبيدي
د.نادر جميل جمعة
الشيخ مروان الميس

08 / 622 727
76 / 754 701
70 / 141 360

azahermagazine@yahoo.com
nader.jomaa12@yahoo.com
marwanmais38@yahoo.com



محتويات العدد

القول الفصل..... سماحة المفتي الشيخ خليل الميس	٣
الشهر المبارك..... محمد حسن الناصري	٨
مع النبي في شهر رمضان..... محمد موسى	١٠
موازنة بين الشريعة والقانون..... عبد القادر عودة	١٣
الاسلام و مفهوم حوار الحضارات..... منيرة بن نصيب	١٧
الثقافة الدينية وأثرها باللغة..... د. منى دسوقي	٢٣
الدين والعاطفة والعقل..... د.صادق السامرائي	٢٦
الأشباه والنظائر في القرآن..... مقاتل البلخي	٢٧
موقف الدولة العثمانية من الأقليات..... د.علي معطي	٢٨
النخب الثقافية ومسؤوليتها الاجتماعية..... د.هيفاء الإمام	٣٢
د.محمد عمارة..خطاب عقل بين دفتي الفكر.د.محمود محمد علي	٣٨
حلف غادر لأعداء في الظهر..... د.رعد مقبل العبيدي	٤١
عروبة فلسطين والموقف من صفقة القرن..... د.محمد عطوات	٤٧
صفقة لاغتيال قضية..... د.يوسف الورداني	٥٠
صفقة القرن هيمنة جديدة باسم السلام..... د.وائل نجم	٥٢
هجرة العقول والأدمغة العربية..... حسن العطار	٥٤
قصيدة قسما بالنازلات..... مفدي زكريا	٥٦
الشعر في العصر العباسي الأول (١)..... د.فالح الكيلاني	٥٧
أيهما أخطر فايروس الكورونا أم فايروس الفساد...سربست اميدي	٦٠
الكورونا والتغذية..... د.يوسف قريشي	٦٤
وجدانيات..... د.أسماء القادري	٦٩
احرصوا على تعليم اولادكم الفكاهة ..... د.ربى شعراني	٧١

القول الفصل:



الوباء القاتل وفقه النوازل

كتبه : سماحة مفتي زحلة و البقاع الشيخ خليل الميس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، أما بعد، تمر بالعالم حقبة من الخوف والقلق بسبب ما عرف بفايروس كورونا، الذي إنتشر بسرعة في أنحاء الكرة الأرضية، فأصاب ما يزيد على ثلاثة ملايين مريض لحد الآن، وقتل ما يقرب من مئتي الف ضحية، وهذه ليست المرة الأولى التي ينتشر فيها وباء قاتل يصيب الناس في دول عدة، فقد سجل التاريخ حالات سابقة، من ذلك ما عرف بطاعون عمواس سنة (١٧-أو ١٨) هـ الذي حصد كثيراً من الأرواح، إذ يقال إن عدد المتوفين نحو (٢٥ إلى ٣٠) الف، من بينهم صحابة كبار مثل أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل، وكان ذلك زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن الجدير بالذكر أن عمواس مدينة صغيرة في فلسطين ظهر فيها ذاك الطاعون ومنها إنتشر حتى عمّ بلاد الشام. وفي سنة (٧٤٩هـ-١٣٤٨م)، ظهر الطاعون مجدداً في أوروبا، وتسبب في موت ثلث سكان القارة الأوروبية آنذاك، وقد وصف بطاعون الموت الأسود.

وفي زمن الدولة المملوكية التي قامت في مصر أواخر العصر العباسي الثالث ودام ملكها منذ سقوط الدولة الأيوبية سنة (٦٤٨هـ-١٢٥٠م)، حتى هُزم المماليك على أيدي جنود الدولة العثمانية في معركة الريدانية سنة (٩٢٣هـ-١٥١٧م)، حيث ظهر الطاعون في مصر أكثر من مرة وإنتشر إلى باقي دولة المماليك، وكان من ضحاياه كتاب ومؤلفون، منهم إبن الوردي الحلبي الفقيه والأديب والشاعر الذي توفي بالطاعون سنة (٧٤٩هـ-١٣٤٩م)، وتاج الدين السبكي، الذي قيل إنه خطب في الناس يوم الجمعة، وأصيب بالطاعون يوم السبت ومات ليلة الثلاثاء وكان ذاك سنة ٧٧١هـ. وتاريخياً شكل الوباء كالطاعون لغزاً يصعب فهمه، ولهذا تعددت تفسيراته، فالطبيب إبن سينا قال: الطاعون هو فساد جوهر الهواء الذي هو مادة الروح ومدده، أما الطبيب إبن النفيس فقد ربط الطاعون بأسباب أرضية وسماوية؛ فالأرضية ترجع إلى فساد الهواء الناتج عن تراكم الجيف والماء الآسن وكثرة الحشرات. أما الأسباب السماوية: فهي فلكية ترجع إلى كثرة الشهب والرجوم في آخر الصيف وأثناء الخريف. وبعضهم قدم تفسيرات دينية للظاهرة الوبائية من ذلك ما ذكره إبن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) في كتابه (بذل الماعون في فضل الطاعون)، وفيه قال: إن الطاعون من وخز أعدائكم من الجن، ومضى إلى القول: الطب معذور لأنه لا يتمكن من معرفة أفعال الجن بالتجربة أو المشاهدة المباشرة. وبعض التفسيرات الدينية ذهبت إلى أن الوباء نتيجة شيوع الموبقات، ولكن هذا القول لا يقدم تفسيراً كيف أن بعض الصحابة الكرام قد أصابهم الوباء وماتوا به، وفي هذه الأيام وبعد إنتشار وباء كورونا سمعنا جدلاً كرر الكثير مما ذكرناه أعلاه وزادوا عليه، وبالنظر إلى أن إنتشار وباء كورونا إبتدأ من الصين وجد ذلك بعضهم مناسبة للقول إن هذا

عقاب إلهي للصين على ما فعلته بالمسلمين من مواطنيها، ولكن إنتشار الوباء في بلاد المسلمين أضعف فكرة أن الوباء عقاب إلهي.

ولم يتردد بعضهم في القول: إن الوباء مؤامرة من الصين أو أمريكا وهي جزء من حرب بيولوجية هكذا بلا سند و لا دليل. ومن غرائب ما سمعنا أن إنتشار الوباء مقدمة لظهور المهدي المنتظر.

وبعد ظهور وباء كورونا أثار بعضهم أسئلة عديدة تضاربت في مضامينها وما قصد بها، وكانت بعضها تتعلق بالطب وقدرته على تقديم العلاج الشافي، بينما تناولت أسئلة أخرى العقيدة الدينية، وموقف الإسلام من هذا الوباء، وكيفية التصدي له، خاصة وقد إستدعت الضرورة منع التجمعات، وإنعكس ذلك على أداء بعض العبادات الدينية كصلاة الجمعة التي تمارس بصورة جماعية.

لذا نقول: إن الشريعة الإسلامية شاملة كل ما تحتاجه البشرية من أحكام لتسيير شؤون حياتها والدليل قوله تعالى: (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) النحل/٨٩؛ كما يقول سبحانه وتعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) الأنعام/٣٨.

وقد قام علماء الإسلام وأئمته بتقسيم الشريعة إلى عقائد وعبادات ومعاملات وغيرها من الأقسام من مثل (فقه النوازل)؛ والنازلة لغة: هي إسم فاعل من ينزل وهو الإنحطاط والهبوط من علوّ، وقال صاحب تاج العروس: النازلة الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس ونسال الله العافية. أما في الإصطلاح: فهي إجتهاد الرأي على الأصول عند عدم النصوص في حين نزول النازلة.

وهكذا فإن النازلة أمر جديد حادث ينزل بالأمة، وليس فيه نص من كتاب أو سُنة ينص على حكمه من إيجاب أو إستحباب أو تحريم أو كراهة أو إباحة، أي لا حكم له من الأحكام التكليفية، وهنا تستجد ضرورة تلزم الفقيه أو المجتهد الحائز على شرائط الإجتهاد أن يقوم بدراسة النازلة وإستخراج علتها غير المنصوص عليها.

وبعد الدراسة المستفيضة والنظر المجرد عن الهوى يجتهد رأيه ويحاول إلحاق النازلة بحكم أصل شرعي منصوص على علته، وهذا هو القياس الذي إعتمده فقهاء الشريعة، وهنا نذكر حديث الرسول محمد صلى الله عليه و سلم: (إذا حكم الحاكم فإجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فإجتهد ثم أخطأ فله أجر)، رواه البخاري.

وهكذا كان دأب أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فقد ذكر الإمام إبن القيم في كتابه (إعلام الموقعين):

أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم يجتهدون في النوازل، ويقيسون بعض الأحكام على بعضٍ، ويعتبرون النظير بنظيره. وقال إبن القيم أيضاً: المفتون الذين نصّبوا أنفسهم للفتوى أربعة أقسام: أحدهم العالم بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة، فهو المجتهد في أحكام النوازل، يقصد فيها موافقة الأدلة الشرعية حيث كانت، ولا ينافي إجتهاده تقليده لغيره أحياناً.

أما الإمام الكمال بن الهمام فقد قال: إستقر رأي الأصوليّين على أن المفتي هو المجتهد، وأما غير المجتهد ممن يحفظ أقوال المجتهد فليس بمفتٍ، والواجب عليه إذا سئل أن يذكر قول المجتهد، كأبي حنيفة على جهة الحكاية... وطريق نقله كذلك عن المجتهد أحد أمرين: إما أن يكون له فيه سند إليه، أو يأخذه من كتابٍ معروفٍ تداولته الأيدي، نحو كتب محمد بنِ الحسن، ونحوها من التصانيف المشهورة، للمجتهدين لأنه بمنزلة الخبر المتواتر عنهم أو المشهور.(شرح فتح القدير).

كما قال الإمام إبن القيم رحمه الله: و لا يتمكن المفتي و لا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلاّ بنوعين من الفهم: أحدهما فهم الواقع والفقه فيه، وإستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علماً.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله تعالى الذي حكم به في كتابه أوعلى لسان قوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر، فمن بذل جهده وإستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجراً، فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله، كما توصل شاهد يوسف عليه السلام بشق القميص من دبر إلى معرفة براءته وصدقه، وعن هذه الواقعة يقول الله تعالى: (قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قُدّ من قُبلٍ فصدقت وهو من الكاذبين (٢٦) وإن كان قميصه قُدّ من دُبرٍ فكذبت وهو من الصادقين (٢٧) فلما رأى قميصه قُدّ من دُبرٍ قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم (٢٨)) يوسف٢٦/٢٨.

إذن كان يجب على من يفتي في النوازل فهم واقع المسالة وذلك لكي ينزل الحكم الصحيح على الواقعة القائمة. فإذا كانت المسالة طبية نقل الأطباء تلك المسالة بتفاصيلها إلى المفتي لكي يحيط بها علماً قدر المستطاع لكي ينزل الحكم الشرعي عليها وهو على بينة من الأمر، وهكذا في سائر المسائل الأخرى. عن شريح القاضي قال: قال لي عمر بن الخطاب أن إقضِ بما إستبان لك من قضاء رسول الله صلى الله عليه و سلم، فإن لم تعلم كل أقضية رسول الله صلى الله عليه و سلم، فإقضِ بما إستبان لك من أئمة المهتدين، فإن لم تعلم كل ما قضت به الأئمة المهتدون فإجتهد رأيك، وإستشر أهل العلم والصلاح.

وليس بخافٍ على أحد صحابة رسول الله رضوان الله تعالى عليهم وكيف كانوا، وقد وصفهم القرآن الكريم بالقول: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩))، الفتح/٢٩. وكان العلماء الذين إهتموا بأمر النوازل يراعون الملابسات التي تحيط بالفعل والحالة الحاضرة، ويجعلونها مناط التفريع، فالمجتهد كي يفتي الناس عليه أن يقف على النازلة وهو ملزم بمعرفة كل الظروف والأحوال.

وقد كَتبَ العلماء المسلمون كتباً في النوازل من ذلك كتاب (النوازل الصغرى) و (النوازل الكبرى) لمهدي الوزاني، وكتاب (النوازل) للعلوي، ومنهم من أسماها الواقعات والف فيها الكُتب بهذا العنوان مثل كتاب (الواقعات) لإبن مسعود، وكتاب (واقعات المفتين) لعبد القادر أفندي، و كتاب (فتاوى النوازل) لأبي الليث السمرقندي (ت٣٧٣هـ) وكتاب (أنفع الوسائل إلى تحديد المسائل) لإبراهيم بن علي العرسوسي (ت٧٨٥هـ)، وهناك كتب للفقهاء المُحدثين من ذلك (نوازل العبادات والمعاملات) جمع وترتيب مهند أبو عمر، وهناك ما نشره مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وما تنشره مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة للإفتاء في السعودية، ومجلة الأزهر التي تصدر في مصر وغيرها كثير.

وأهمية دراسة ما كُتب في فقه النوازل، من أجل إنارة السبيل أمام الناس بإيضاح حكم النازلة حتى يعبدوا الله على بصيرة وهدى ونور، فلو ترك التصدي للنوازل من دون إيضاح لأحكامها لصار الناس في تخبط ثم إستفتوا من لا يصل إلى رتبة الإجتهاد، ومثل هؤلاء قد يفتي بغير علم فيَضل ويُضل.

لقد أثير الجدل هذه الأيام بشأن غلق المساجد وقد وقفنا على فتاوى أصدرها كثيرون ممن هم بمرتبة الإفتاء ومن لم يبلغها، وكانت التناقضات عديدة لأن الفتاوى كانت متضاربة، ولم يتردد بعضهم من تكفيرغيره ممن وافق على غلق المساجد، وإعتبر ذلك غيرَ جائزٍ، وما من ضرورة ملجئة له، ولا مصلحة فيه. ومن

غريب ما ظهر أقوال بعضهم من غير ذوي الإختصاص الشرعي ولا من هم بمرتبة الإفتاء، فقد إستشهدوا بالآية الكريمة (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)،البقرة/١١٤.

أما تعطيل صلاة الجماعة فقد حدث في التأريخ، فعندما دخل التتار بغداد أثبت إبن كثير وآخرون غيره: (تعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد، وذلك يرجع لشدة الخوف وشيوع الموت حينها). كما حدث تعطيل صلاة الجماعة سنة ١٢١٥هـ كما أثبت المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي عن وقائع الطاعون في مصر والشام فقال:

(أغلقت الأسواق وعزّت الأكفان، وصار معظم الناس بين ميت ومشيع ومريض وعائد... ومات العلماء والقراء والرؤوساء وأرباب الحرف... وتعطلت المساجد من الأذان والإمامة، لموت أرباب الوظائف، وإشتغال من بقي منهم بأمور أخرى).

ونلاحظ في أيامنا هذه أن غلق المساجد وتعليق الصلوات الجماعية إجراء إحترازي أملته النازلة الواقعة لوباء كورونا، وهذا الإجراء له ضرورة ملحة، وسيزول الغلق حتماً بزوال الأسباب الداعية له.

وكلنا يعلم أن من مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ الدين وحفظ النفوس، وقرار منع الصلاة الجماعية قصد به حفظ نفوس وأبدان المسلمين المؤمنين. وحفظ الدين معناه أن الدين يحفظ بأداء صلواتنا في بيوتنا بناء على ضرورة ملحة. وحفظ النفس معناه أن النفوس تحفظ إذا صلينا في بيوتنا خشية وقوع إنتشار الإصابة بهذا الوباء القاتل، أو التسبب في عدوى نقله للآخرين من إخوتنا المسلمين.

وهنا نشير إلى ما ذكره التأريخ مما أثبته شمس الدين المنبجي (ت٧٨٥هـ) الذي صنف كتاباً عن الطاعون فقال: إن من جمع الناس بموضع واحد للدعاء أثناء الطاعون الكبير (٧٤٩هـ)، قد سبب تعاظم إنتشار الوباء، فقد كان الطاعون قبل الإجتماع أخف وزاد وتعاظم بعد الإجتماع).

وعلى الرغم من إختلاف إبن حجر مع آراء المنبجي إلاّ أنه لم يستطع أن ينكر حقيقة ما حصل في طاعون القاهرة سنة ٨٣٣هـ، فقال:

(وقع هذا في زماننا حين وقع الطاعون بالقاهرة في سنة ٨٣٣هـ فكان عدد من يموت بها دون الأربعين، فخرجوا إلى الصحراء للدعاء كما في الإستسقاء، فما إنسلخ الشهر حتى صار عدد من يموت في كل يوم بالقاهرة فوق الالف ثم تزايد، وما هذه النتيجة إلاّ من إنتشار العدوى بعد إجتماعهم ذاك.)

أما بالنسبة للحجر الصحي: فهو من وسائل الحد من إنتشار الأمراض الوبائية، وبموجبه يمنع أي شخص من دخول المناطق التي إنتشر فيها الوباء ويمنع من الإختلاط بأهلها. وهذا معروف في الإسلام من زمن الرسول صلى الله عليه و سلم من أحاديثه المروية ومنها حديثه المشهور: (إذا سمعتم بالطاعون بأرضٍ فلا تدخلوها، وإذا وقع وأنتم بأرضٍ فلا تخرجوا منها فراراً منه)، رواه البخاري.

وهناك حديث شريف آخر:(فِر من المجذوم فِرارك من الأسد). كما قال صلى الله عليه و سلم في حديث آخر:(لا توردوا المُمرض على المُصِح). وما يؤسف له أنه عندما قالَ بعضهم إنه بالنظر إلى سبق معرفة فائدة الحجر الصحي مما هو ثابت عن الرسول صلى الله عليه و سلم، وجدها بعضهم مناسبة لإنكار ذلك، وهكذا إفتعلوا مشاداتٍ كلاميةً حادة إفتقدت إلى الكثير من التهذيب، ولم تقدم حلاً ولا ساهمت في شفاء أحد.

وهنا نشير لا بد من تقرير أن العدوى أو عدمها مسالة طبية بحتة، وليست مسالة فقهية ليجري الإختلاف بشأنها من قبل غير الأطباء، ولابُدّ من قبول الرأي الطبي بأن كورونا وباءٌ

معدٍ، وأن من الواجب التوقي منه بكل الوسائل المتاحة ومنها العزلة وعدم الإختلاط.

أما ما أثير بشأن إغلاق المساجد فنقول: يجب الفصل بين إغلاق المساجد وإلغاء الحكم الشرعي التكليفي؛ فلا مجال هنا للحديث عن إلغاء صلاة الجمعة لأن لها بدلاً وهو صلاة الظهر، فإذا تعطل الأصل – وهو صلاة الجمعة – لعذرٍ شرعي من خوفٍ أو سفر أو وباءٍ، أو قرار مِّن الدولة بناءً على متطلبات الوقاية من تفشي الوباء، وفي هذا مصلحة عامة لا شك فيها، عندها يجب البدل وهو صلاة الظهر. والرسول صلى الله عليه و سلم قد أمر الناس بالصلاة في رحالهم (بيوتهم) مخافةَ الضّرر والمشقة، ولا فرق في هذا بين الصلاة وصلاة الجماعة في الجمعة، لأن الترك هنا لا يتعلق بالعبادة، بل بخوف الضّرر والمشقة، فالعبادة باقية، وإذا كان أمر الرسول صلى الله عليه و سلم في الضّرر اليسير من الطين أو المطر الشديد فمن باب أولى أن الأمر يشمل الوباء لخطورته وما يترتب فيه من هلاك النفوس التي يحرص الإسلام على حفظها. فإن تطلب الأمر عدم الصلاة في مكان معين، فهذا لا يسقط العبادة، ويبقى حكمها قائما لم يتأثر ولن يتأثر بشيء.

فإذا كان الإجتماع سبباً لأن ينقل شخص الوباء القاتل إلى عشرات أو ربما مئات غيره على التوالي بما لا يمكن معرفته ولا حصره ولا علاجه، فلا مجال للحديث عن خيارات فردية بالأخذ بالرخصة أو بالعزيمة.

ولهذا يتوجب على الجميع مراعاة الإلتزام بالتوجيهات العامة المرتبطة بالصحة والوقاية من الوباء، ولا يصح أن تخالف وتكون النتيجة كارثة لا سمح الله.

وطالما أن الحكم الشرعي التكليفي باقٍ والعبادة لم يمنعها أحد ولم يعطلها ، فلا داعيَ للمخاطرة بأرواح المسلمين وإلزامهم بحضور صلاة الجمعة أو إستمرار إجتماعهم بذرائع قد تبدو مقبولة ظاهرياً، ولكنها تنطوي على المخاطرة بأرواح المسلمين المؤمنين، ولا تنصحهم ولا تحافظ على أرواحهم.

وهذا لا يغير في شيء من كون المساجد كانت وستبقى بيوت الله، التي تهوي إليها قلوب المسلمين المؤمنين، وهي أماكن طاهرة ترتادها الملائكة، وفي المسجد يشعر المؤمن بقربه من الله سبحانه وتعالى، فتنزل على نفسه السكينة والطمأنينة، وهي البيوت التي أذن الله أن يذكر فيها إسمه تعالى ويرفع.

إن الوضع القائم حالياً يعكس عجز الأنظمة الصحية المتوفرة، وعدم قدرتها على علاج الأعداد الهائلة من المصابين. وهذا فشل مؤقت، وسوف تعرف البشرية بتوفيق من الله سبحانه نجاحات قادمة لعلاج وباء كورونا، وذلك نتيجة الجهود العالمية المكثفة والإحتياطات الوقائية المتخذة،

وأخيراً وليس آخراً نذكر بقوله تعالى:
(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)،العلق: ١ – ٥. وهكذا نرى أَنَ الله تعالى قد فتح الباب للإنسانية للتطور العلمي في مجالات كثيرة ومنها الطب وقد وفق الله تعالى الأطباء لعلاج أمراض عديدة، ومن المتوقع أن هذا ما سيحدث بالنسبة للجهود العلمية التي يقوم بها الأطباء في أغلب دول العالم بشأن علاج وباء كورونا.

إن الأزمات التي قد تواجه الناس، ربما تكون مناسبة لإخراج خفايا النفوس، فمن الناس من تكون الأزمة سبباً يدفعه للتوبة والعودة إلى الله سبحانه وتعالى، ومنهم من تدفعه إلى عكس ذلك فيندفع إلى التنافس وإستغلال الأزمة لإستغلال الناس والتضييق عليهم في رزقهم ومأكلهم، من دون أي تذكار للعاقبة وإلى يوم الحساب، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

الاَ هل بلغت ، اللهم فإشهد !



الشهر المبارك

كتابة: محمد حسن الناصري

شهر رمضان المبارك هو الشهر التاسع من أشهر السنة الهجرية، حيث يأتي بعد شعبان وقبل شوال، ويبلغ عدد أيامه ثلاثين أو تسعة وعشرين يوماً، وقد فرض الله - تعالى- على المسلمين صيام شهر رمضان في شعبان من العام الثاني للهجرة، فصامه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- تسع سنوات قبل أن يتوفاه الله -تعالى- في العام الحادي عشر للهجرة.

ومن الجدير بالذكر أنّ أهل اللغة إختلفوا في سبب تسمية شهر رمضان بهذا الإسم، حيث قال بعضهم إنّ التسمية مشتقة من الرمض وهو شدة الحر، لمجيء شهر رمضان غالباً في زمن الرمضاء وهو شدة الحر في الجزيرة العربية، وقيل إنّ سبب التسمية يرجع إلى إرتماض الصائمين من حر الجوع، وقيل بل لأنّ القلوب تأخذ في هذا الشهر الفكرة في أمر الآخرة والموعظة كما تستمد الحجارة والرمال الحرارة من الشمس، وقال فريق آخر من أهل العلم إنّ التسمية مشتقة من الرمض وهو الحرق، لما فيه من إحراق للذنوب بالأعمال الصالحة،

وقيل إنّ أصل التسمية مشتق من الرميض وهو السحاب والمطر في آخر الصيف وأول الخريف، وسبب التسمية أنه يرمض الذنوب أي يغسلها بالعمل الصالح، وقال فريق آخر إنّ سبب تسمية رمضان ترجع إلى أنّ العرب كانوا يرمضون أسلحتهم فيه، أي يحشدونها ويحضّرونها للحرب في شوال.

دخول شهر رمضان وخروجه :

تُعدّ فريضة صوم رمضان من العبادات المحددة بوقتٍ معين، حيث لا يصح أدائها إلاّ في شهر رمضان من كل عام، ولذلك ينبغي تعلم الأحكام المتعلقة بدخول شهر رمضان وخروجه، وتجدر الإشارة إلى أن دخول شهر رمضان المبارك يثبت بأحد أمرين:

إما برؤية هلال رمضان، مصداقاً لقول الله تعالى:

(فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)، و كذلك ما رُوي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أنّه قال:

(صُومُوا لرؤْيته وأَفطرُوا لِرؤْيته)، وتثبت رؤية هلال رمضان بشهادة مسلم، عاقل، بالغ، عدل، موثوق بأمانته وخبرته، وفي حال تمتّ مشاهدته وجب على المسلمين الصيام، أمّا في حال عدم مشاهدة الهلال فيثبت دخول شهر رمضان بتمام شعبان ثلاثين يوماً، حيث إنّ الشهر القمري لا يمكن أن يتجاوز الثلاثين يوماً، و قد رُوي عن ابن عمر -رضي الله عنه- عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنّه قال: (الشّهر هكذا وهكذا وهكذا - يعني: ثلاثين - ثمّ قال: وهكذا وهكذا وهكذا - يعني تِسعاً وعشرين-

يقول: مرَّة ثلاثين، ومرَّة تسعاً وعشرين).

وفي حال تمام شهر شعبان ثلاثين يوماً، يُتأكّد دخول شهر رمضان، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(صُومُوا لرؤْيته وأفطرُوا لرؤْيته، فإن غُبِّي

عليكُم فأكملُوا عدّة شعبان ثلاثين)، ويسمى يوم الثلاثين من شعبان بيوم الشك، ولا يجوز صيامه على أنّه من رمضان، مصداقاً لما رُوي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أنّه قال:

(لا تقدّموا بين يدي رمضان بيوم أو يومين إلّا رجلٌ كان يصومُ صياماً فليصُمه)،

ويثبت خروج شهر رمضان بأحد أمرين:

رؤية شاهدين لهلال شوال، أو تمام رمضان ثلاثين يوماً. خصائص شهر رمضان :

يُعدّ شهر رمضان من الأزمنة الفاضلة في الإسلام، وقد ميّزه الله -تعالى- عن باقي أشهر العام بالعديد من الخصائص، ومن هذه الخصائص ما يأتي:

صومه من أركان الإسلام: فصوم شهر رمضان يعتبر الركن الرابع من أركان الإسلام، مصداقاً لما رُوي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أنّه قال:

(بُني الإسلام على خمسٍ، شهادة أن لا إله إلّا اللّه، وأنّ مُحمَّدا عبدهُ ورسولهُ، وإقامة الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، وحجّ البيت، وصوم رمضان).

فيه ليلة خيرٌ من ألف شهر: فمن فضل الله - تعالى- على عباده أن جعل لهم ليلة القدر في رمضان، وجعل العمل فيها خير من عمل ألف شهر، مصداقاً لقوله عزّ وجلّ:

(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ).

نزول القرآن الكريم : خصّ الله -تعالى- شهر رمضان بإنزال القرآن الكريم فيه، حيث قال تعالى:

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ).

إنّ رمضان شهر الطاعات والعبادات، وينبغي للمسلم التركيز في الأعمال الفاضلة فيه، وفيما يأتي ذكر لأفضل الأعمال في رمضان:

الصوم: حيث إنّ صوم رمضان مع الإخلاص والمتابعة سببٌ لنيل المغفرة، مصداقاً لما رُوي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنّه قال:

(من صام رمضان إيماناً و احتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه).

قراءة القرآن الكريم: فقد كان جبريل -عليه السلام- يدارس النبي -عليه الصلاة والسلام- القرآن الكريم في رمضان، وكان السلف الصالح -رضي الله عنهم- يُكثرون من قراءة القرآن في رمضان، فقد رُوي أنّ عثمان بن عفان -رضي الله عنه- كان يختم كل يوم مرة، وكان الشافعي رحمه الله يختم القرآن الكريم في رمضان ستين مرة.

الإعتكاف: حيث إنّ الإعتكاف عبادةٌ تشمل الدعاء، والصلاة، وقراءة القرآن، والذكر، فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، إلّا في العام الذي توفي فيه إعتكف عشرين يوماً.

ومن الأعمال الفاضلة في رمضان: الصدقة، وقيام الليل، والعمرة، والجلوس في المسجد بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، وتحرّي ليلة القدر، وصلة الرحم، وإطعام الطعام. وفي رمضان وقعت الكثير من الأحداث الفاصلة في التاريخ الإسلامي ، وفيما يلي ذكرٌ لبعض منها:

بداية الوحي: يعد نزول الوحي أهم الأحداث على الإطلاق، وقد حصل في شهر رمضان حيث نزل جبريل -عليه السلام- على محمد -صلى الله عليه وسلم- بأول آية من القرآن الكريم.

غزوة بدر الكبرى: وقعت هذه المعركة العظيمة في السابع عشر من رمضان من العام الثاني للهجرة، وكانت انتصارا حاسما للمسلمين على الكفار.

غزوة الخندق: حدثت هذه الغزوة في شهر رمضان من العام الخامس للهجرة، وقد إنتصر فيها المسلمون من غير قتال. فتح مكة: حدث فتح مكة العظيم بعد شوط طويل من الجهاد، والتضحية التي سطّرها رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وكان ذلك في الحادي والعشرين من رمضان سنة ثمانية للهجرة.



مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في شهر رمضان

محمد موسى نصر
جامعة تلمسان في الجزائر



إننا نستقبل ضيفاً عزيزاً غائباً لا يفدُ إلينا إلاّ مرة في العام، يزورنا غبَّاً فنكون له أشدُّ حبًّا، ضيفٌ تَخفق بحبه القلوب، وتشرئب إليه الأعناق، وتتطلّع الأعين لرؤية هلاله، وتتعبَّد النفوس المؤمنة ربَّها بذلك.وهذا الضيف الكريم المبارك يعرفه المؤمنون حقاً لأنهم هم أنفسهم الذين يؤدُّونه حقَّه، ويقدرونه قدره فيكرمون وفادته صدقاً وعدلاً.

إنَّ الله رفع قدر هذا الضيف في القرآن، وعلى لسان النبي العَدنان - صلى الله عليه وسلم-، فجعل الخير كله فيه؛ في أوَّله ووسطه وآخره؛ قال تعالى: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيِّنات من الهدى والفرقان}.

لا شك أنَّك عرفت أخي القارئ من هو هذا الضيف!!

تُرى ما هي خصائصه وما هي فضائله؟! حتى تستعدّ لاستقباله وتُشمِّر عن ساعد الجد لاهتباله، لتنال ما أودع الله فيه من خير وبركة ورحمات:

هذا الشهر أنزل الله القرآن فيه، ولو لم يكن فيه إلاّ هذا الفضل لكفى، فكيف وفيه ما فيه والله أعلم به من مغفرة الذنوب، ورفع درجات المؤمنين، ومضاعفة الحسنات، وإقالة العثرات، يُعتق الله في كل ليلة من لياليه عتقاء من النَّار.

وهو شهر تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، وتُصفَّد فيه الشياطين، ينزل فيه ملكان يقول الأول: يا باغي الخير أقبل، ويقول الثاني: يا باغي الشر أقصر.فيه ليلة من حُرمها حُرم خيراً كثيراً، ليلة يُفرق كل أمر حكيم.

إنَّها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

وأنَّ الوقوف على هديه - صلى الله عليه وسلم- في كلّ طاعة أمرٌ في غاية الأهميَّة، خصوصاً هديه في شهر رمضان، لأن العمل الصالح لا يرفع للعبد إلاّ إذا أخلص فيه لله وجرَّد المتابعة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم-؛ فالإخلاص والمتابعة هما ركنا قَبول العمل الصالح، وهما كجناحي الطائر، فهيهات أن يُحلِّق الطائر بجناح واحد.

وفي هذه السطور نقف وإياك أخي القارئ على أحوال الرسول - صلى الله عليه وسلم- في رمضان، باختصار واعتصار، لتكون على بيِّنة من هديه، فمن لم يكن مع الرسول - صلى الله عليه وسلم- في هديه في الدنيا لم يكن معه في دار الكرامة في الآخرة، إذ الفلاح كل الفلاح في إتباع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ظاهراً وباطناً، ولا يُنال ذلك إلاّ بالعلم النافع، ولا يوجد علم نافع إلاّ بعمل صالح، فثمرةُ العلم النافع العمل الصّالح. فيا عبد الله إليك بعض أحواله - صلى الله عليه وسلم- وهديه في رمضان لتتأسّى به فتنال محبَّته وتُحشر معه:

* كان - صلى الله عليه وسلم- لا يصوم حتى يرى الهلال رؤية محقَّقة أو بإخبار العدل أو بإكمال عدّة شعبان ثلاثين يوماً.

* وكان - صلى الله عليه وسلم- يكتفي بشهادة الواحد، وفي هذا حجَّة على قبول خبر الواحد. وثبت أنَّ الأمة صامت برؤية أعرابي جاء من البادية فأخبر النَّبي - صلى الله عليه وسلم- أنَّه رأى الهلال فأمر - صلى الله عليه وسلم- بلالاً أن يؤذن بالصيام.

* وكان - صلى الله عليه وسلم- ينهى أمَّته أن تتقدم رمضان بصوم يوم أو يومين إحتياطاً وتعمقاً إلاّ أن تكون عادةً لأحدهم؛ لذلك نهى عن صيام يوم الشك.

* وكان - صلى الله عليه وسلم- يبيِّت النيَّة من الليل قبل الفجر، وأمر أمَّته بذلك.

وهذا الحكم من خصوصيات صيام الفريضة، أمَّا صيام النافلة فلا يشمله هذا الحكم.

* وكان - صلى الله عليه وسلم- لا يُمسك عن الأكل والشرب والمفطرات حتى يرى الفجر الصادق رؤية محقَّقة عملاً بقول الله تعالى: {وكلوا وأشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر}.

وبيَّن - صلى الله عليه وسلم- لأمته أن الفجر فجران صادق وكاذب، فالكاذب لا يُحرم طعاماً ولا شراباً ولا جِماعاً، ولم يكن - صلى الله عليه وسلم- يُشدِّد على أمَّته في رمضان ولا في غيره، فلم يشرع لهم ما يسمى -بغير حق- أذان الإمساك.

* وكان - صلى الله عليه وسلم- يُعجل الفطور ويؤخر السحور، ويأمر أمَّته بذلك قائلاً: «لا تزال أمَّتي بخير ما عجَّلوا الفطور».

* وكان - صلى الله عليه وسلم- بين سحوره وقيامه لصلاة الفجر قدر قراءة خمسين آية.

* أمَّا أخلاقه - صلى الله عليه وسلم- فحدِّث عن حُسنها ورِفعتها ولا حرج؛ فقد كان - صلى الله عليه وسلم- أحسن الناس أخلاقاً، كيف لا وقد كان خلقه القرآن، كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وقد أمر - صلى الله عليه وسلم- أمَّته بحُسن الخُلق خصوصاً للصائمين منهم فقال: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه).

* وكان - صلى الله عليه وسلم- يتعاهد أهله ويُحسن عشرتهم في رمضان أكثر من غيره.

* ولم يكن - صلى الله عليه وسلم- يدع السِّواك في رمضان وغير رمضان؛ يطهِّر فاه ويُرضي ربَّه.

* وكان - صلى الله عليه وسلم- قد احتجم وهو صائم، ورخَّص بالحجامة للصائم؛ وخلاف ذلك منسوخ.



* وكان - صلى الله عليه وسلم- يُجاهد في رمضان، ويأمر أصحابه بالفطر ليقوَوا على ملاقاة عدوِّهم.

ومن رحمته - صلى الله عليه وسلم- بالأمَّة أن رخّص للمسافر بالفطر، وللمريض، والشيخ الفاني، والمرأة العجوز، والمرأة الحامل أو المرضع، فيقضي المسافر، ويُطعم الشيخ الفاني والحامل أو المرضع.

* وكان - صلى الله عليه وسلم- يجتهد في العبادة والقيام في رمضان ما لا يجتهد في غيره، خصوصاً في العشر الأواخر يلتمس ليلة القدر.

* وكان - صلى الله عليه وسلم- يعتكف في رمضان خصوصاً في العشر الأواخر وإعتكف في العام الذي توفي فيه عشرين يوماً، وكان لا يعتكف إلاّ صائماً.

* وأمَّا مدارسته للقرآن: فلم يكن أحد يجتهد إجتهاده، وكان جبريل يلقاه فيدارسه القرآن في رمضان لأنه شهر القرآن.

* وأمَّا جوده وكرمه في رمضان فلا يوصف؛ فقد كان –صلى الله عليه وسلم- كالريح المرسلة بالخير لا يَخشى من ذي العرش إقلالاً.

* وقد كان - صلى الله عليه وسلم- أعظم المجاهدين ولم يمنعه الصيام من المشاركة في الغزوات، فقد غزا ستُّ غزوات في تسع سنين، كلها في شهر رمضان، وقام بأعمال جِسام في رمضان حيث هدم مسجد الضرار وهدم أشهر أصنام العرب، واستقبل الوفود، وتزوَّج بِحفصة أم المؤمنين، وفتح مكة في رمضان.

والخلاصة: أن شهر رمضان شهر إجتهاد وجهاد وتضحية في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم- لا كما يفهم (ويفعل) كثيرٌ من المسلمين زماننا أنه شهر دعةٍ وكسل وخمول وبطالة!! اللهم وفِّقنا لاقتفاء أثر نبيِّك محمد - صلى الله عليه وسلم-، وأحينا على سنَّته، وأمِّتنا على شريعته.

ملاحظة :

كل ما في هذا المقال أحاديث صحاح، معظمها في «الصحيحين» أو أحدهما.



موازنة بين نشأة الشريعة ونشأة القانون

بقلم: الأستاذ عبد القادر عودة



نحن نعرف كيف نشأت الشريعة الإسلامية، أما القانون الوضعي ففي الجماعة التي ينظمها ويحكمها ينشأ ضيئلاً محدود القواعد، ثم يتطور بتطور الجماعة؛ فتزاد قواعده، وتتسامى نظرياته، كلما ازدادت حاجات الجماعة وتنوعت، وكلما تقدمت الجماعة في تفكيرها وعلومها، ويضع قواعد القانون الوضعي الأشخاص المسيطرون على الجماعة، وهم الذين يقومون بتهذيب هذه القواعد وتغييرها، فالجماعة إذن هي التي تخلق القانون، وتضعه على الوجه الذي يسد حاجتها، وهو تابع لها، وتقدمه مرتبط بتقدمها.

وقد بدأ القانون يتكون كما يقول علماء القانون مع تكون الأسرة في العصور الأولى، ثم تطور بتكون الدولة، ثم بدأت الحقبة الأخيرة من التطور في أعقاب القرن الثامن عشر على هدي النظريات الفلسفية والاجتماعية؛ فتطور القانون الوضعي من ذلك الوقت حتى الآن تطوراً عظيماً، وأصبح قائماً على نظريات ومبادىء، لم يكن لها وجود في العصور السابقة.

ـ طبيعة الشريعة تختلف عن طبيعة القانون:

ونستطيع أن نقول بحق: إن الشريعة لا تماثل القانون، وإن طبيعة الشريعة تختلف تمام الاختلاف عن طبيعة القانون، ولو كانت طبيعة الشريعة من طبيعة القانون لما جاءت على الشكل

الذي جاءت به، ولوجب أن تأتي شريعة أولية، ثم تأخذ طريق القانون في التطور مع الجماعة، وما كان يمكن أن تأتي بالنظريات الحديثة التي لم تعرفها القوانين إلا أخيراً، بل ما كان يمكن أن تصل مثل هذه إلا بعد أن تعرفها القوانين، وبعد مرور آلاف السنين.

- الاختلافات الأساسية بين الشريعة والقانون:

تختلف الشريعة الإسلامية عن القوانين الوضعية اختلافاً أساسياً من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أن الشريعة من عند الله، أما القانون فمن صنع البشر، وكلا الشريعة والقانون يتمثل فيه بجلاء صفات صانعه، فالقانون من صنع البشر، ويتمثل فيه نقص البشر وعجزهم وضعفهم وقلة حيلتهم. ومن ثم كان القانون عرضة للتغيير، أو ما نسميه التطور، كلما تطورت الجماعة إلى درجة لم تكن متوقعة أوجدت حالات لم تكن منتظرة، فالقانون ناقص دائماً، ولا يمكن أن يبلغ حد الكمال؛ ما دام صانعه لا يمكن أن يوصف بالكمال، ولا يستطيع أن يحيط بما سيكون، وإن استطاع الإلمام بما كان.

أما الشريعة، فصانعها هو الله، وتتمثل فيها قدرة الخالق وكماله وعظمته وإحاطته بما كان، وبما هو كائن، ومن ثم صاغها العليم الخبير بحيث تحيط بكل شيء في الحال والاستقبال.

الوجه الثاني: أن القانون عبارة عن قواعد مؤقتة تضعها الجماعة؛ لتنظيم شؤونها، وسد حاجتها. فهي قواعد متأخرة عن الجماعة، أو هي في مستوى الجماعة اليوم، ومتخلفة عنها غداً؛ لأن القوانين لا تتغير بسرعة تطور الجماعة، وهي قواعد مؤقتة تتفق وحال الجماعة المؤقتة، وتستوجب التغيير كلما تغيرت حال الجماعة.

أما الشريعة؛ فقواعد وضعها الله على سبيل الدوام، لتنظيم شؤون الجماعة، فالشريعة تتفق والقانون في أن كليهما وضع لتنظيم الجماعة، ولكن الشريعة تختلف عن القانون في أن قواعدها دائمة، ولا تقبل التغيير والتبديل، وهذه الميزة التي تتميز بها الشريعة تقتضي منطقيا:

أولاً: أن تكون قواعد الشريعة ونصوصها من المرونة والعموم بحيث تتسع لحاجات الجماعة مهما طالت الأزمان، وتطورت الجماعة، وتعددت الحاجات وتنوعت.

ثانياً: أن تكون قواعد الشريعة ونصوصها من السمو والارتفاع بحيث لا يمكن أن تتأخر في وقت أو عصر ما عن مستوى الجماعة.

والواقع أن ما يقتضيه المنطق متوفر بوجهيه في الشريعة، بل هو أهم ما يميز الشريعة؛ فقد جاءت نصوص الشريعة عامة ومرنة إلى آخر حدود العموم والمرونة، كما أنها وصلت من السمو درجة لا يتصور بعدها سمو.

ولقد مر على الشريعة أكثر من ثلاثة عشر قرناً، تغيرت فيها الأوضاع أكثر من مرة، وتطورت الآراء والعلوم تطوراً كبيراً، واستحدث من الصناعات والمخترعات ما لم يكن يخطر على خيال إنسان، وتغيرت قواعد القانون الوضعي ونصوصه أكثر من مرة؛ لتتلاءم مع الحالات الجديدة والظروف الجديدة، بحيث انقطعت العلاقة بين قواعد القانون الوضعي التي تطبق اليوم، وبين قواعده التي كانت تطبق يوم نزلت الشريعة، وبالرغم من هذا كله، ومن أن الشريعة الإسلامية لا تقبل التغيير والتبديل؛ ظلت مبادئها ونصوصها أسمى من مستوى الجماعات، وأكفل بتنظيمهم وسد حاجتهم، وأقرب إلى طبائعهم، وأحفظ لأمنهم وطمأنينتهم.

- المميزات الجوهرية التي تميز الشريعة من القانون:

ونستطيع أن نستخلص مما سبق أن الشريعة الإسلامية تمتاز على القوانين الوضعية من ثلاث ميزات جوهرية:

الكمال: تمتاز الشريعة على القوانين الوضعية بالكمال أي: بأنها استكملت كل ما تحتاجه الشريعة الكاملة من مبادىء ونظريات، وأنها غنية بالمبادىء والنظريات التي تكفل سد حاجات الجماعة في الحاضر القريب، والمستقبل البعيد.

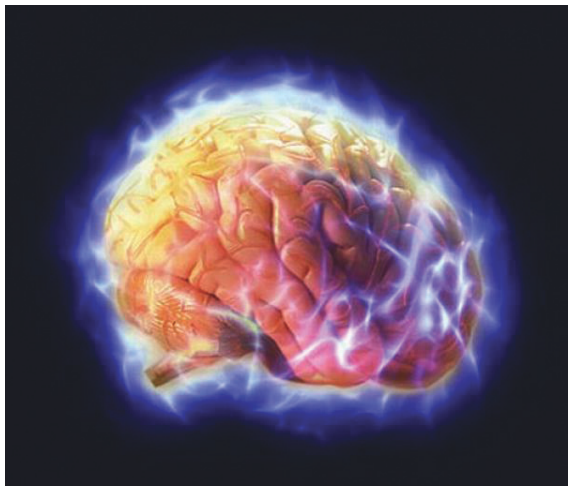
السمو: تمتاز الشريعة بأن قواعدها ومبادئها أسمى دائماً من مستوى الجماعات، وأن فيها من المبادىء والنظريات ما يحفظ لها هذا المستوى السامي، مهما ارتفع مستوى الناس.

الدوام: تمتاز الشريعة من القوانين الوضعية بالدوام، فنصوصها لا تقبل التعديل أو التبديل مهما مرت الأعوام وطالت الأزمان، وهي مع ذلك تظل حافظة لصلاحيتها في كل زمان ومكان.

- طريقة الشريعة الإسلامية في التشريع:

الأصل في الشريعة أنها جاءت للناس لتحكمهم في كل حالاتهم، وليحكموها في شؤون دنياهم وآخرتهم، ولكن الشريعة مع هذا لم تأت بنصوص تفصيلية تبين حكم كل الحالات الجزئية والفرعية؛ كما تفعل القوانين الوضعية اليوم، وإنما اكتفت الشريعة في أغلب الأحوال بإيراد الأحكام الكلية في نصوص عامة مرنة، فإذا تعرضت لحكم فرعي فنصت عليه فإنما تنص عليه، لأنه يعتبر حكماً كلياً بالنسبة لما يدخل تحته من فروع أخرى.

والأحكام الكلية التي نصت عليها الشريعة تعتبر بحق القواعد العامة للتشريع الإسلامي،



والهيكل الذي يمثل معالم التشريع الإسلامي، والضوابط التي تحكم التشريع الإسلامي، وقد تركت الشريعة لأولي الأمر أن يتموا بناء التشريع على أساس هذه القواعد، وأن يستكملوا هذا الهيكل؛ فيبينوا دقائقه وتفاصيله في حقوق المبادىء والضوابط التي جاءت بها الشريعة.

والطريقة التي التزمتها الشريعة في التشريع هي الطريقة الوحيدة التي تتلاءم و مميزات الشريعة، وما تتصف به من السمو والكمال والدوام، فالسمو والكمال يقتضيان النص على كل المبادىء والنظريات الإنسانية والاجتماعية التي تكفل حياة سعيدة للجماعة، وتحقق العدل والمساواة والتراحم بين أفرادها، وتوجههم إلى الخير، وتدعوهم إلى التفوق. وصفة الدوام تقتضي أن لا ينص على حالات مؤقتة تتغير أحكامها بتغير الظروف وتوالي الأيام.

- حق ولي الأمر في التشريع:

وإذا كانت الشريعة قد أعطت أولي الأمر حق التشريع فإنها لم تعطهم هذا الحق مطلقاً من كل قيد، فحق أولي الأمر في التشريع مقيد بأن يكون ما يضعونه من التشريعات متفقاً مع نصوص

الشريعة ومبادئها العامة وروحها التشريعية، وتقييد حقهم في التشريع على هذا الوجه يجعل حقهم مقصوراً على نوعين من التشريع:

تشريعات تنفيذية: يقصد بها ضمان تنفيذ نصوص الشريعة الإسلامية، والتشريع على هذا الوجه يعتبر بمثابة اللوائح والقرارات التي يصدرها الوزراء كل يوم في حدود اختصاصه؛ لضمان تنفيذ القوانين.

تشريعات تنظيمية: يقصد بها تنظيم الجماعة وحمايتها وسد حاجتها على أساس مبادىء الشريعة العامة، وهذه التشريعات لا تكون إلا فيما سكتت عنه الشريعة، فلم تأت فيه بنصوص خاصة، ويشترط في هذا النوع من التشريعات أن يكون قبل كل شيء متفقاً ومبادىء الشريعة العامة وروحها التشريعية.

ومن المتفق عليه أن عمل ولي الأمر صحيح طالما كان في حدود حقه، باطل فيما خرج على هذه الحدود، فإذا أتى أولو الأمر بما يتفق مع نصوص الشريعة، ومبادئها العامة وروحها التشريعية؛ فعملهم صحيح تجب له الطاعة، وإذا أتوا بما يخالف الشريعة فعملهم باطل، وكل ما كان باطلاً لا يصح العمل به ولا تجب له الطاعة.

والأصل في ذلك قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩) [١]

وقوله تعالى:

(و ما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) [٢] فالله جلّ شأنه يوجب علينا طاعة أوامره كما يوجب علينا طاعة الرسول، وأولي الأمر – والطاعة لله تجب بأمر الله، والطاعة للرسول ولأولي الأمر تجب بأمر الله لا بأمر الرسول، ولا بأمر أولي الأمر، فإذا خرج ولي الأمر على ما أنزل الله فأمره باطل ولا تجب طاعته.

ولقد أكد الرسول صلى الله تعالى عليه و سلم هذه المعاني في قوله:» لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، وفي قوله:»إنما الطاعة في المعروف» وفيما قاله في أولي الأمر:»من أمركم منهم بمعصية فلا سمع له ولا طاعة».

- هل استعمل أولو الأمر حقهم في حدوده:

أخذ ولاة الأمر في أكثر البلاد الإسلامية يضعون من القرن الماضي لبلادهم مجموعات قانونية في مختلف التشريعات على غرار ما فعلت البلاد الأوروبية، ولكنهم عمدوا إلى القوانين الأوروبية، فنقلوا عنها نقلاً مجموعات دستورية وجنائية ومدنية وتجارية وغير ذلك، ولم يرجعوا إلى الشريعة الإسلامية إلاّ في بعض المسائل القليلة كالوقف والشفعة. ومن الحق أن نقرر أن معظم نصوص هذه المجموعات يتفق و نصوص الشريعة، ولا يخرج على مبادئها العامة، ولكن من الحق أن نقرر أيضاً أن بعض نصوص هذه المجموعات جاء على خلاف أحكام الشريعة، وقام على مبادىء تخالف مبادئها، ومن الأمثلة على ذلك بعض نصوص قوانين العقوبات؛ فإنها تبيح الزنا في معظم الأحوال، ومن الأمثلة شرب الخمر، بينما الشريعة تحرم الزنا وشرب الخمر تحريماً مطلقاً، بينما تبيحه القوانين الأوربية، ولو أن الإباحة ليست مطلقة، ومقيدة بحد معين.

يتبع في العدد القادم إن شاء الله

هوامش

[١] سورة النساء، الآية٥٩

[٢] سورة الشورى،الآية ١٠



الإسلام و مفهوم حوار الثقافات

كتابة : الأستاذة منيرة بنت نصيب

١ ـ مفهوم حوار الثقافات :

إن الأصل في الثقافة الإسلامية هو الانفتاح والحوار مع الغير بوصفها ثقافة حوارية لا صراعية، تنطلق من مبدأ التجاوب والتواصل والاختلاف وقبول الرأي الآخر ، وتنتهي إلى التسامح والتفاهم والمصالحة والوئام والتضامن مع الغير.

ذلك أن التحاور بالدرجة الأولى خاصية إنسانية والحوار معطى فطري واجتماعي مرتبط بالطبيعة البشرية ومطلب ملح يتجاوز حدود الزمان والمكان وخصوصيات الشعوب، لأنه يملك مفاتيح وأدوات التقدم والرقي والحضارة وبالحوار يتحدث الفرد مع خالقه ومع ذاته ومع الغير من منطلق الإيمان بوحدة الإله والمعبود وبتعدد العابدين والموحدين للواحد الأحد مصداقا لقوله عزّ و جلّ

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفؤا أحد)

صدق الله العظيم (سورة الإخلاص : الآيات من ١ إلى ٤)

إن الطريق الأقصر والمنهج الأسلم لتكريس وتجسيد مفهوم حوار الثقافات هو العلم والمعرفة والتقصي واكتشاف الحقائق والتعمق في الدراسة والتفكير والتحليل للإلمام والإحاطة بكل مجالات الحياة الإنسانية وليس أدل على أن المدخل النظري والتطبيقي لنظرية العلم والمعرفة والثقافة على حد سواء من أول آية نزلت من القرآن الكريم على المصطفىمحمد صلى الله عليه وسلم:

بسم الله الرحمن الرحيم

(إقرأ باسم ربك الذي خلق *خلق الإنسان من علق * إقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم *علم الإنسان ما لم يعلم) صدق الله العظيم (سورة العلق: الآيات من ١ إلى ٥)

إن الآية الكريمة تأمر بني آدم بالقراءة لما لهذا الفعل من أبعاد ثقافية وحضارية تسمو بالإنسان خليفة الله في الأرض إلى أعلى المراتب في تبليغ الرسالة الربانية وذلك بوساطة الحوار الذي هو في جوهره تفاعل إنساني وفي الحديث النبوي الشريف يقول صلى الله عليه وسلم: (اطلبوا العلم ولو في الصين)

وهي دعوة صريحة وأمر بطلب العلم بلا حدود ولا قيود وحث على التعاطي مع ثقافات وحضارات الأمم الأخرى المختلفة عنا في عاداتها وتقاليدها وأعرافها ولغاتها وألوانها وأجناسها، وفي هذا حجة دامغة على تحررنا الفكري وانفتاحنا على العالم بأسره .

وإن كان مصطلح صراع الحضارات قد نال نصيبه من التحليل والتفسير والنقد، فإنه

يتعين علينا اليوم الخوض في مفهوم «حوار الثقافات» ودراسته ومناقشته واستقراء معانيه بوصفه تعبيرا ومضمونا فكريا ثقافيا إسلاميا أصيلا، يشكل على الدوام مصدرا للسلم والتسامح والتعايش والوئام والمصالحة بين الشعوب والحضارات . و في ضوء ما تقدم، تأتي الآية ١٣ من سورة الحجرات لتؤكد أهمية الحوار والتعارف بين البشر من قوله عزّ و جلّ :

بسم االله الرحمن الرحيم

«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير

صدق االله العظيم (سورة الحجرات: الآية ١٣)

يتضح من الآية الكريمة المقصد الصريح للشريعة الإسلامية في مسألة العلاقات الإنسانية التي تستوجب قيامها على أساس التعارف الذي يتجاوز مفهومه ومدلوله اللغوي إلى معنى أعمق وأوسع من حيث الإرتقاء بالمعارف الإنسانية إلى أسمى وأعلى مستوى، فكلما تقاربت الشعوب وتعارفت وتفاعلت وتوحدت في إطار الحفاظ على خصوصياتها وهوياتها ومقوماتها وتنوع وتعدد ثقافاتها، كلما زالت وتراجعت أسباب الصدام والصراع والخلافات والتشتت والتمييز والتفرقة بينها . ومن هذه الآية أيضا نستشف أن ثقافة التعارف ركن أساسي لتحقيق التعاون والتكافل والتضامن، فلو كنا جميعا متطابقين ومتشابهين في خلقتنا وأفكارنا وعاداتنا وتقاليدنا ولغاتنا وسلوكنا لما كانت هناك حاجة للتعارف فيما بيننا.

كما يتراءى لنا أن المولى تبارك وتعالى أشرك بني البشر جميعا في أب واحد وأم واحدة، وهذا أصدق برهان على عدم التفرقة والتفاضل والتباهي والتفاخر بين الأبيض والأسود والعربي والأعجمي والذكر والأنثى إلاّ بالتقوى، فكلنا لآدم وآدم من تراب مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع:

(أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، ليس لعربي فضل على أعجمي إلاّ بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) إن الإسلام دين معاملة ويحترم الناس كافة بصرف النظر عن انتماءاتهم الاجتماعية، فالكل عند الله سواء ولا تمييز بينهم إلاّ بالتقوى

من هنا تشكلت بين الشعوب والأمم قواسم إنسانية مشتركة وتلاقت وتكاملت خبراتها وتجاربها وروافدها الحضارية، بمنأى عن العصبية والعنصرية، فعرف العرب بفصاحة اللسان، والفرس بالسياسة، والهنود بالحكمة واليونان بالمنطق والفلسفة ليكون الإسلام بذلك المصدر الأساسي لـ (طرح قضية المشترك الثقافي في دعوته للإصلاح والأخوة والمساواة والتكافل والتكامل والشورى)(١)

٢ ـ خصائص حوار الثقافات من منظور الثقافة الإسلامية:

لقد ساهمت جهود الأولين في خلق مراكز إشعاع ثقافي وبناء علاقات إنسانية متينة، وفي مقدمتهم الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي أنشأ دار الحكمة وأسس فيها قسما للترجمة إلى جانب علوم الدين والبلاغة واللغة والنقد والتاريخ، فنقلت مدارس الترجمة المعارف من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية والهندية إلى اللغة العربية، كما ترجمت من اللغة الأصل إلى اللغات المذكورة (٢). ومعنى ذلك أن (الثقافات تتعدد وتتصارع، وثقافة الأمة من

عقيدة وتراث وآداب وفلسفة ولغة وفنون هي التي تكسبها خصوصيتها وهويتها، وتتميز من غيرها من الأمم، وتصوغ مبادئها وقيمها، كما تحدد لها أسلوبها في التعامل داخل المجتمع، والثقافات على تعددها وتنوعها تتواصل في حالي تصارعها وتحاورها فتأخذ من الثقافات التي سبقتها ومن الثقافات التي تعاصرها، وتتأثر بها وتتفاعل معها) (٣).

وهو ما يفند ما توصل إليه المفكر الأمريكي صمويل هنتنجتون بتركيزه في أن عملية الصراع الحضاري تنشأ انطلاقا من تمايز وتباين الثقافات، وقد خلص إلى أن (أسباب تجدد الصراع بين الإسلام والغرب يكمن في التساؤلات الأساسية للقوة والثقافة) (٤).

وأن الثقافات الدينية هي المحرك والمؤجج للصدام بين الشعوب وحتى بين أفراد المجتمع الواحد.

إن اعتراف الثقافة الإسلامية بالغير لهو أكبر دليل على قيامها على مبدأ حوار الثقافات والتعاون والتعامل والمشاركة بين جميع أصناف البشر على اختلاف عقائدهم وأعراقهم وأجناسهم.

وبناء عليه تتميز الثقافة الإسلامية كثقافة حوار من جملة خصائص أهمها :

- إنها ثقافة عالمية إنسانية تخاطب آدمية الإنسان وتدعو إلى الأخوة والمساواة(٥).

- إنها ثقافة حوار لا ثقافة صراع، تعتمد مبدأ التعددية واحترام آراء الغير، وتنبثق عن الاختلاف لتنتهي إلى الاتفاق

والتوافق بين أطراف الحوار، وثقافة الحوار هي الأصل في التعارف والتقارب بين الحضارات والأمم.

- إنها ثقافة مرجعية وهي ثقافة وسطية واعتدال حيث تمثل حلقة الوصل بين ثقافات شعوب العالم وتضمن تلاقيها، (فالثقافة جزء من الحضارة والحضارة تتضمن ثقافات متعددة)(٦)

- إنها ثقافة شورى، فهي تعتمد منهج الشورى كأسلوب للحوار والتفاهم والإقناع والاتصال والتواصل والتفاعل الحضاري

قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

(وأمرهم شورى بينهم) صدق الله العظيم

(سورة الشورى: الآية ٣٨)

- إنها ثقافة متوازنة تستوجب (التفاعل من منطلق الندية والتكافؤ بعيدا عن الاستعلاء والاحتقار)(٧)

- إنها ثقافة نموذجية سمحة لا تتعصب لدين أو مذهب أو ملّة أو انتماء.

- إنها ثقافة التزام وأخلاق لقوله صلّى الله عليه وسلم:

(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)

وهذه الأخلاق متوارثة بين الأجيال والأمم على الرغم من اختلاف ثقافاتها وديناتها ولغاتها ، ورب العالمين هو الذي أمر البشرية قاطبة بحسن الخلق(٨).

- إنها ثقافة تنمية بشرية مستدامة، وهي ثقافة أمة واحدة مصداقا لقوله عزّو جل:

بسم الله الرحمن الرحيم

(وإن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاتقون) صدق الله العظيم (سورة المؤمنون: الآية ٥٢)

فالمسلم الجزائري كالمسلم الأمريكي والياباني والسوري والفرنسي إذ لا فرق بين عربي وأعجمي إلاّ بالتقوى(٩).

- إنها ثقافة أصول وآداب وأخلاقيات الحوار، إذ يجب التحلي بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة والمفاوضة بالحسنى في عملية الحوار كما جاء في قوله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم
(إدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) صدق الله العظيم (سورة النحل: الآية ١٢٥)
وقوله أيضا في سورة آل عمران:

بسم الله الرحمن الرحيم
(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) صدق الله العظيم (آل عمران: الآية١٥٩)

٣ - المؤتمر الإسلامي ومسألة التنوع الثقافي:

- الإعلان الإسلامي عن التنوع الثقافي:

إن الإعلان الإسلامي عن التنوع الثقافي الصادر عن المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة المنعقد بالجزائر في ديسمبر ٢٠٠٤ جاء ليعزز مفهوم حوار الثقافات بين الشعوب، وهذه لمحة موجزة عما جاء فيه :

يتعزز اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، شعور بضرورة دفع الحوار بين الشعوب والثقافات نحو تحقيق الأهداف الإنسانية، فلا يمكن تصور أي تعاون بناء أو أي حوار حقيقي بين الحضارات والثقافات في عالم يتغير باستمرار من دون الإقرار بمبدأ التنوع الثقافي.

ومن ثمة فلا بديل عن التربية على الحوار واحترام التنوع الثقافي و صونه باعتباره سبيلا للتعايش بين بني البشر، والتأسيس لمستقبل مشترك أكثر اطمئنانا و تضامنا .

يتطلب تعزيز الحوار بين الحضارات الذي أصبح اليوم قضية إنسانية دائمة الحضور في ساحة الفكر العالمي، لا ترتبط بحقبة زمنية محددة، كما أضحى الحوار اختيارا استراتيجيا يفتح أمام الإنسانية آفاق واسعة لبناء عالم جديد، يتطلب ما يلي:

تدعيم التكافل بين الشعوب، ورعاية تنوعها الثقافي، بسلوك منهج قائم على الحوار المؤدي إلى زيادة الوعي بالقيم المشتركة بين الشعوب جميعا، وبلورة مفهوم إنساني لتعزيز هذه المبادئ ونشرها، وتعبئة القوى الحية حكومات ومنظمات وهيئات شعبية في العالم الإسلامي لهذا الغرض.

المبادئ والأهداف :

المادة - ١ مميزات التنوع الثقافي وحوار الحضارات

إن الثقافات والديانات مدعوة اليوم أكثر من أي وقت مضى، للحوار الدائم وتعزيز التعايش، وإغناء بعضها بعضا، و بوساطة سلسلة من الإسهامات المتبادلة المبنية على القيم والمبادئ الكونية المشتركة بينها، والمتمثلة بقيم الحب والإخاء والتسامح والاحترام المتبادل والتضامن والعدل، وهي قيم ومبادئ كونية ينبغي الإرتقاء بها و ترسيخها في الضمائر و السلوك ، بإعتبارها إرثا إنسانيا مشتركا. وذلك بوساطة حوار حقيقي بين الثقافات والديانات.

ولا يمكن تصور تعاون بناء أو حوار حقيقي بين الثقافات والحضارات بدون الإقرار بمبدأ التنوع الثقافي فلا بديل عن الحوار للمحافظة على التنوع الثقافي والتعددية الثقافية. وانطلاقا من ذلك، علينا التمسك بذاتيتنا الثقافية وهويتنا الحضارية والدفاع عنهما، في إطار التفاعل مع الثقافات والحضارات الأخرى، وعلينا

كذلك مراجعة أسس النظرة إلى الغير والابتعاد عن الصور النمطية للشعوب وثقافاتها وحضاراتها ؛ فالحوار ندا لند بين الأمم والشعوب يتطلب منا الجرأة لمراجعة النفس بدون التنكر للهوية الدينية والثقافية، فباعتبار الإسلام منهجا ربانيا وسلوكا إنسانيا يرى المسلمون أنه مادامت الثقافة تعبيراعن عبقرية شعب، فلا وجود لثقافة راقية أو ثقافة منحطة ؛ فلكل ثقافة عبقريتها الذاتية وغناها المتميز وحكمتها الخاصة، مما يتطلب التأكيد على ما يلي :

- أن تنوع الثقافات والحضارات نعمة من الله، وأننا بصفتنا مسلمين، نضطلع برسالة إنسانية الغايات في تركيز أسس السلم العالمي، وعلينا أن نمد أيدينا للتعاون مع جميع الحضارات الإنسانية لما فيه الخيرللجميع.

- أن التنوع الثقافي ثروة ينبغي أن لا تكون مصدر نبذ للغير، بل سبيلا إلى توسيع الأرضية المشتركة ودعم فرص التوافق والتلاقي وتقليل الفوارق وحل النزاعات بالطرق السلمية.

المادة-٤ مساهمة الثقافة والحضارة الإسلاميتين في إغناء التنوع الثقافي

إن الثقافة الإسلامية، وكما يشهد التاريخ بذلك، هي ثقافة تقدم وإبداع وعلم وعمل، احترمت دائما التنوع وتعاملت معه، وقد ظل تنوع الثقافات والحضارات وتعايشها داخل الرقعة الجغرافية الواسعة التي يدين أهلها بالإسلام، على اختلاف لغاتهم وثقافاتهم وحضاراتهم الخاصة، خير دليل تاريخي على ثقافة الحوار والتسامح التي ينادي الإسلام بها دائما. وتستلهم مختلف الأجيال الإسهامات المتعددة للأمة الإسلامية، وحملها لمشعل حضارة سعت دائما لتحقيق الإضافة النوعية، وعملت من أجل التقدم والسلام والرفاهية المادية والمعنوية، من منطق الإغناء، وبما حملته من قدر كبير من العلوم والمعارف في مختلف المجالات .

المادة - ٦ التنوع الثقافي والمنظور الإسلامي لحقوق الإنسان ولثقافة العدل والسلام اعتبار الحق في التنوع والتعدد الثقافي والاحترام المتبادل للمقومات الحضارية والثقافية شرطا لا غنى عنه للحوار المتكافئ والتعايش السلمي ودعم منظومة الحقوق الثقافية للشعوب .

المادة - ٧ التنوع الثقافي والإبداع

يتطلب صون التنوع الثقافي عملا دؤوبا يشمل توجيه السياسات الثقافية توجيها مناسبا ، ودعم مشاريعها ومبادراتها،

والنهوض بالصناعات الثقافية وتنميتها، ودعم الفاعلين والمبدعين الثقافيين، وصيانة الممتلكات والخدمات الثقافية، و مراعاة جميع أشكال التراث الثقافي، سواء أكانت مادية أم غير مادية، وتعزيز القدرة على الإبداع والتواصل على الصعيد والوطني والإقليمي والعالمي، انطلاقا من توجه يقوم على التأصيل والانفتاح، وينبغي أن يساهم الأخذ بناصية تكنولوجيا الإعلام والتواصل الجديدة في إغناء اللغة العربية ولغات الشعوب المسلمة، من أجل الرقي بها لمواكبة المستجدات العلمية على الصعيد العالمي، كما يجب أن تساهم الترجمة، في تشجيع التفاعل والتبادل الثقافيين ونقل المعارف والتقنيات الحديثة، خاصة تلك المتعلقة بتقنيات المعلوماتية والنهوض بالموروث الثقافي .

دور الدول الأعضاء

إدراج موضوع التنوع الثقافي والحوار بين الحضارات محورا في برامج الاحتفال بالعواصم الثقافية الإسلامية.(١٠)

وهو ما سعى إليه القائمون على الملتقى الدولي «الإسلام والاستشراق وحوار الثقافات»

٤ - حوار الثقافات في وسائل الإعلام السمعية البصرية: «إن الثقافة مفهوم جماعي يشير إلى الممارسات المشتركة بين أفراد المجتمع من عادات وتقاليد ولغات وأديان وغيرها من الثوابت والمقومات».

ومن المؤكد أن إثراء وإغناء الهويات الثقافية والحضارية للأمم مطلب وأولوية يفرضهما عصر المعلومات والسمعي البصري نظرا لأهمية وحيوية وقوة الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام الجماهيرية وفي صدارتها التلفزيون في تحقيق أهداف الشراكة بين دول شمال وجنوب حوض البحر الأبيض المتوسط الرامية لتشجيع سبل التقارب بين شعوب المنطقة وتغيير النظرة إلى الغير وترقية التنوع الثقافي انطلاقا من تعميق ثقافة الحوار بين ضفتي المتوسط وفعالية التعايش والتكامل بين الطرفين، و هذا من شأنه خلق مكانة متميزة لكليهما في الفضائين المتوسطي والعالمي.

وختاما:

طالما نحن نناقش موضوع حوار الثقافات والأفكار والمعارف ، نرى أنه لابد أن نتكلم في المستقبل القريب عن حوار المجتمعات في أبسط صورها الإنسانية لأن المجتمع على وفق وجهة نظرنا هو مصدر ونواة كل تفاعل ثقافي بوصفه حجر الأساس الذي تنبني عليه كل العلاقات والروابط الاجتماعية والحضارية على حد سواء وخير ما أنهي به حديثي هذا قوله عزو جل:

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)

صدق الله العظيم(سورة الحجرات: الآية ١٣)

قائمة الهوامش :

١-عبد الله، التطاوي، « الحوار الثقافي مشروع التواصل والانتماء ، « الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ٣٢. ص، ٢٠٠٦

٢-م.س.ن ، ص (٣٩ بتصرف).

٣-ناصر الدين، الأسد وآخرون، «حوار الحضارات والمشهد الثقافي، «المطابع المركزية، دار فارس للنشر والتوزيع،الطبعة الأولى، عمان، الأردن، ٢٠٠٤ ،ص. ٢٩.

٤-صموئيل، هنتنجتون، « صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، «ترجمة مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمد خلف،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، مصراته، ليبيا، ١٩٩٩ ،ص. ٣٧٤.

٥-أحمد، فراج وآخرون ، « خصائص الثقافة العربية الإسلامية في ظل حوار الثقافات ، « دار السلام للطباعة و النشروالتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦ ،ص٦-م.س.ن ، ص. ١٣٦.

٧-عبد الله التطاوى،مرجع سابق،ص.٣٧

٨-أحمد، فراج وآخرون، م. س،ص. ٦٤

٩-م.س.ن ، ص. ٥٩٠-١http://www.isesco.org.ma

١١-كاريس، باركر، « التلفزيون والعولمة والهويات الثقافية ، « ترجمة علا أحمد صلاح، مجموعة النيل الثقافية، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦ ص.٢٧١



الثقافة الدينية وأثرها باللغة

بقلم: الدكتورة منى الدسوقي
أستاذة محاضرة في الجامعة اللبنانية

صمدت اللغة العربية صموداً عجيباً أمام عاديات الدهر، وخرجت بعد بضعة عشر قرناً أو يزيد، موحدة في لهجة قريش، في أواخر العصر الجاهلي وبالتحديد في القرن السادس الميلادي، وأصبحت لغة رسمية أو شبه رسمية في أرجاء الجزيرة العربية كلها. ونزل القرآن الكريم بلغة العرب التي كانوا ينظمون فيها شعرهم ويلقون فيها خطبهم ويتخاطبون بها فيما بينهم، ومصداق ذلك

قوله تعالى:(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (إبراهيم- ٤)،

وقد وردت صفة «مبين» نعتاً للسان العربي، والقرآن، وللكتاب والرسول اثنتي عشرة مرة في القرآن الكريم.[١]

وقد ظهر الإسلام في العام ٦١٠م ديناً سماوياً جديداً، يبشر به رجل من قريش هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وعلى مدى ثلاث وعشرين سنة من حياة النبي وحياة المسلمين كانت تعاليم الإسلام تتنزل آيات قرآنية كريمة باللغة العربية،[٢] وكان آخرها

قوله تعالى:(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ).[المائدة -٣]

وقد تضمن القرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين، عدداً من الآيات التي تربط بينه وبين اللغة العربية، منها:

قوله تعالى:(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ).
[يوسف- ٢]

وقوله تعالى:(وكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا).
[الرعد - ٣٧]

وقوله تعالى:(كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(فصلت- ٣)

وقوله تعالى:(وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا)(الشورى- ٧)

وقوله تعالى:(لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ). (النحل – ١٠٣)

وكل هذه الآيات الكريمة دلائل بينات على وجوب جعل الله العربية لغة المسلمين كافة، فقد ارتبطت هذه اللغة بالدين؛ فضمنت لنفسها بذلك البقاء والنماء، ما دامت الدنيا، وما دام في الأرض مسلم يقرأ القرآن الكريم.[٣]فقد أخذت اللغة العربية تمتد مع نمو الإسلام واتساعه، حتى غدت اللغة الأولى في العالم الإسلامي كله؛ فأصبحت لغة الثقافة والفكر، ولغة الصلاة والعبادة، وقد ارتبطت بنزول القرآن برباط محكم، حتى أصبح تعلمها واجبا على كل مسلم، كي يلم بها، ويفهم بيانها، ليكون دينه صحيحا.

و قد كان البدء بتعليم الكلمة
قوله تعالى:
(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّها) (البقرة- ٣١)،
وصولاً إلى قوله تعلى:
(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)(العلق-١) وأخرج الإمام أحمد مَن حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال:»خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم يوماً كالمودع فقال أنا محمد النبي، (ثلاث مرات) ولا نبي بعدي، أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه....».[٥]

فالوحي نزل كلمة، فكان بهذه الكلمة مصدراً من مصادر العلم والمعرفة. والإسلام هو العمق الحضاري للغة العربية، تصاب بما يصاب به الدين من انتشار أو انحسار، وبما يعتريه من غربة أو ازدهار، فمن المعروف أن اللغة العربية انتشرت بانتشار الإسلام وامتداد فتوحاته في إفريقيا وآسيا، وكان لها من القوة والنفوذ ما مكنها من التغلب على لغات الأمصار القديمة. ويرجع تمكنها إلى بنيتها الداخلية، ودقة نظامها، وقواعدها، وغنى معجمها، وإلى آدابها، وقدرتها على التعبير عن مختلف جوانب الفكر والوجدان، وإلى تراثها الذي يؤسسها، وعلى رأس هذا التراث والثقافة كان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

واللغة العربية ليست إلا تمثلا للفكر الإسلامي في مختلف قيمه ومظاهره. لذلك كان من الضروري أن تعمق صلة المسلم والعربي باللغة ليفهم أسرارها وأساليبها، ويكون قادراً على الاستجابة لفكرها وأداء فرائض الإسلام عليه.[٧]فمن أسباب تمكنها أيضاً صلتها بالإسلام؛ فهي لغة مصادر التشريع ولغة التعبد؛ يقول الإمام الشافعي:»ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي....والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه، لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء... وهكذا لسان العرب عند خاصتها وعامتها»....

إلى أن قال:»فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به ألاّ إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك....

فكان تنبيه العامة على أن القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين، والنصيحة فرض لا ينبغي تركه، وإدراك نافلة لا يدعها إلاّ من سفه نفسه وترك موضع حظه».

ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى:»ومعلوم أن تعلم العربية فرض على الكفاية، وكان السلف يؤدبون أولادهم على تجنب اللحن، فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي، ونصلح الألسنة المائلة عنه؛ فيحفظ لنا طريقة الكتاب والسنة والاقتداء بالعرب في خطابها».

كما ذكر ابن تيمية أن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعارالأمم التي منها يتميزون.

لقد انتشرت اللغة العربية بذاتها وبعامل الدين. وقد ذكر لنا الشافعي عامل الإسلام في تمكنها، وتتحدث الأخبار عن قدرتها على الانتشار؛ حيث إن اتصالها بالتراث العلمي القديم بدأ منذ القرن الأول في حركة ترجمة لكتب في النجوم والفلك والطب والكيمياء، وما زالت العربية في اتصالها بالعلوم إلى أن اتخذت في العصر العباسي وضعاً رسمياً. ولقد حفلت العربية بمادة ضخمة من المصطلحات التي تتصل بطائفة من العلوم الإسلامية كعلم الكلام والفقه وغيرها، وكذلك بالعلوم اللسانية؛ كالنحو والبلاغة والعروض والأصوات، وتهيأ من ذلك أسس لمعجم فلسفي وجد ماثلاً إبان ازدهار الحضارة العباسية في بغداد.

وكما انطلق العلماء المسلمون يتأملون في الظواهر الكونية بعقلية اللاتيني؛ حيث كانت

الكنيسة تتدخل لتحرم وتحلل، حتى انتهى المطاف اليوم بالكنيسة والمجتمع الغربي إلى إسقاط وصاية الدين، وكل ذلك لم يعرف في تاريخ المسلمين ولا في دينهم؛ لأنهم نظموا حياتهم العلمية والاجتماعية والسياسية بالدين؛ فظهروا على الأمم الأخرى.

ولقد صمدت اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم وتوحدت، وانصهرت في لهجة قريش، وصارت في آخر العصر الجاهلي لغة رسمية أو شبه رسمية في أرجاء الجزيرة العربية وتخومها. ثم ترسخ ذلك وصار رسمياً بالفعل حين ظهر الإسلام ونزل القرآن الكريم بلهجة قريش[١٣]. عندها تقرر مصير اللغة العربية، وارتبطت بالإسلام أوثق ارتباط، وترتب في ذلك نتائج مهمة جداً، منها: أن العربية أصبحت لغة كل مسلم مهما يكن جنسه وعرقه ووطنه، ولغة الدولة الإسلامية طوال أيام النبي، وأيام خلفائه الراشدين، فالأمويين، فالعباسيين، فالأتراك. وبلغت أوج انتشارها منذ القرن الثامن الميلادي. فامتدت رقعة البلاد التي تتكلم العربية من إسبانيا إلى أواسط آسيا.

ولقد زحفت مع العرب الفاتحين ودخلت كل بلد دخلوه، فصارت في العصور الوسطى لغة الدين والأدب والحضارة في العالم الإسلامي كله. ولقد كان انطلاق العرب من شبه جزيرتهم إلى العالم إيذاناً بعهد ذهبي للغة العربية، فكان العصر العباسي عصر التطور والرقي والازدهار، إذ حفل هذا العصر بحركات ثقافية كبرى، وتيارات فكرية، نتجت عن التداخل الذي تم بين الأمم، وعن تفاعل الحضارات والثقافات والأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية؛ فتفاعل العرب معها، وراحوا ينهلون منها، ويؤلفون فيها، مما جعل العصر العباسي عصراً ذهبياً بالنسبة إلى الحياة الفكرية العربية، وإلى لغة العرب التي أصبحت على مدى بضعة قرون اللغة الرسمية في المجتمع الإسلامي، لا في المناطق العربية وحدها؛ بل في بلاد فارس والهند والترك وسائر الأقاليم الأعجمية. وقد انصهرت في كل الميادين لكل الأمم، تلبس أفكارهم، وتعبر عن قرائحهم، وكسبوا هم ما للغة العربية من ثقافة إسلامية وأدبية وإنسانية.

وكثيراً ما يتوارد إلى أسماعنا مقولة أن العربية محفوظة بحفظ القرآن، وقد نفى بعض الدارسين صفة القداسة التي نسبت إلى اللغة العربية، والمستندة لقوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(الحجر-٩) بأن هذه الآية تشير إلى حفظ الله للذكر أو القرآن الكريم فقط، وأن اللغة العربية ممكن أن تنقرض، كما حصل في إيران التي تغلبت فيها اللغة الفارسية على حساب العربية، وكذلك إسبانيا التي انقرضت فيها العربية، وبقي المسلمون يهتمون بالقرآن.

ومهما يكن من أمر، يرى بعضهم أن سر مقاومة اللغة العربية يكمن في أن عموم المتكلمين العرب، ما زالوا متمسكين بالأساس الديني والحضاري للعربية الفصحى، وإنهم لو تركوا هذا الأساس لضاعت العربية وتلاشت أجزاؤها، مثلما تلاشت اللاتينية لفائدة لهجات أوروبية أصبحت تدعى فيما بعد لغات حية.

فالترابط بين اللغة العربية والإسلام والأمة العربية، ترابط وثيق لا انفصام له ما دام هناك إسلام وقرآن يتلى، لقد حملت اللغة العربية رسالة الإسلام إلى بني البشر جميعاً، وتهيأت لها من الظروف السياسية والدينية والاجتماعية ما جعلها اللغة الأولى في العلم والفكر والأدب على مساحة واسعة من الأرض شرقاً وغرباً لقرون عديدة، كل ذلك أعطى اللغة العربية ميزة فريدة لا نجدها في اللغات الأخرى، مما جعلها حية مستمرة، على الرغم من المحن الكثيرة التي تعرضت لها، والتي كانت كل محنة منها كفيلة بالقضاء عليها.



الدين والعاطفة والعقل

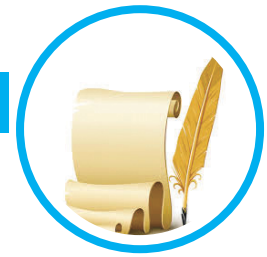
كتابة : د. صادق السامرائي
كاتب من العراق

الدين حالة من الوعي العقلي الإدراكي المعرفي التأملي تكون مسبوقة بتفاعلات شعرية وتصورية عميقة في مواجهاتها مع الوجود بأسره. ولكي يتحقق الدين في أي مجتمع عليه أن يكون مسبوقا بقدرات شعرية سائدة، ومؤثرة بالمجتمع المستوعب للمفردات والصور البلاغية والشعرية الكامنة في الإبداع الشعري، ويكون الدين متوافقا بقدراته التعبيرية مع المستوى الشعري للمجتمع الذي يولد فيه.

فالمتتبع لتأريخ الأديان يرى هذا المسار واضحا وصريحا، فمنذ الحضارات الأولى كانت الأديان مسبوقة بنشاطات شعرية متواصلة ومتراكمة لدى الأجيال، ولهذا وجدَت الموسيقى لترافق الشعر، ومن ثم جاءت التراتيل والأناشيد التي تحوّلت فيما بعد إلى شعائر تعبّدية.

وفي اليونان وقبلها وبعدها كان الشعر المنطلق أو المبتدأ للوصول إلى الدين، أو أن الدين ولد من بين ظهرانية الشعر الذي ينتقل بالوعي البشري إلى مستويات إدراكية تستدعيه للتفاعل مع الكون المطلق بآليات متوافقة و وعيه الجديد. أي أن الدين بحاجة إلى مستويات عقلية ذات قدرات معرفية ومعجمية كفيلة بالفهم والتفاعل الواعي الإدراكي السليم مع المنطوق أو النص الديني.

وفي حالة الإسلام فأنه إنبثق والعرب في أوج إبداعهم الشعري وقدراتهم البلاغية والتعبيرية بمفردات ونصوص خالدة الأثر، فالعربي أبان بداية الإسلام كان على درجة عالية من الإقتدار العقلي تؤهله لإستيعاب الدين الجديد، وهضم مفرداته وعباراته وتمثلها بجودة عالية ومهارات فائقة.و المشكلة التي قد تواجه أي دين تكمن في ضعف اللغة والعقل والإدراك، وتدحرجها إلى أتون العواطف والإنفعالات، مما يتسبب بمسخ الجوهر الديني وتعفيره بالمشاعر والإنفعالات السلبية السيئة الشديدة التدمير للدين. ذلك أن العواطف ستحرف الدين، وتقرأ المكتوب بعيونها لا بعقولها، فلا تفهم إلا ما يرضي سعيرها وإستعارها، وعندها تتبلد العقول وتتجمد وتستحوذ على الوعي البشري آليات ونمطيات سلبية مختلفة المنطلقات والغايات. وهذا ما يبدو واضحا في الأديان عندما تعيش في منحدرات إنفعالاتها، وتعادي عقلها، ويتبناها جيل خاوي العقول، فقير المفردات وعاجز عن التعبير بلغته عما فيه.ولذلك فأن الجهل يكون خطيرا عندما يتفاعل مع الدين، عندها تتسيّد فيه الرموز و المفاهيم الخاوية والأمّارة بالسوء التي فيها، لأنها ستأخذ الأبرياء إلى سقر وهي تتنعم بما كسبته من الإستثمار في ويلاتهم ومصائبهم المتداهمة. والمشكلة التي تعتبرأم المصائب والويلات و تواجه البشرية بخطرها، أن المجتمعات إذا جهلت وتردَّت، و إندفعت نحو الدين وهي ليست بالوعي المطلوب، فسوف تكون مفاهيمها للدين مشوهة، لذا يتوجب أن تترافق مع الدعوة الى التدين حركة ثقافية ومعرفية ذات مستويات إدراكية تؤهل البشر لفهم المعاني الصحيحة للدين ومفرداته والتعبير عنها بسلوك قويم. أما ترك الحبل على غاربه، وإشاعة الجهل والفقر والأمية والحرمان وإقرانها بالدين، فإن ذلك قد يسبب توليد مفاهيم و ممارسات مناهضة للجوهرالصحيح لأي دين، وتأريخ البشرية يزدحم بالشواهد المريرة المعبرة عن إقران الجهل بالدين، وما أنجبه من سلوكيات سلبية ضارة. فهل من قدرات تثقيف وتنوير لغوي ومعرفي ترافق التدين كي نحافظ على نقاء الدين؟!!



الأشباه والنظائر في القرآن الكريم

مقاتل بن سليمان البلخي

من معاني كلمة السوء وتطلق كلمة السوء على أحد عشر وجهاً، وهي:

الوجه الأول: السوء، يعني: الشدة. فذلك قوله في البقرة: (يسومونكم سوء العذاب) الآية ٤٩. يعني الشدة والعذاب. وكقوله في سورة الأعراف: (يسومونكم سوء العذاب) الآية ١٤١. يعني: شدة العذاب. وكذلك في الرعد: (أولئك لهم سوء الحساب) الآية ١٨. يعني: شدة الحساب. وقال في إبراهيم: (يسومونكم سوء العذاب) الآية ٦. يعني شدة العذاب.

الوجه الثاني: يعني: عقراً. فذلك قوله في الأعراف : (هذه ناقة الله لكم ءاية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء) الآية ٧٣. يعني: بعقر. نظيرها في هود: (فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء). الآية ٦٤ ، والشعراء : (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم). الآية ١٥٦.

الوجه الثالث: السوء، يعني: الزنا. فذلك قوله تعالى في يوسف: (ما علمنا عليه من سوء) الآية٥١. يعني: الزنا. وفيها: (ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا) الآية ٢٥. يعني: الزنا. وقال في مريم: (ما كان أبوك امرأ سوء) الآية ٢٨. يعني: زانيا.

الوجه الرابع: السوء: البرص. فذلك قوله في طه: (واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء) الآية ٢٢. يعني: برصاً. نظيرها في النمل : (وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء). الآية ١٢ ، والقصص: (اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء). الآية ٣٢.

الوجه الخامس: السوء، يعني: العذاب. فذلك قوله في النحل: (إن الخزي اليوم والسوء) الآية ٢٧. يعني: العذاب. وكقوله في الرعد : (وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له) الآية ١١. يعني: العذاب. وفي الروم : (ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى) الآية ١٠ .

يعني: العذاب. ونحوه كثير.

الوجه السادس: السوء، يعني : الشرك. فذلك قوله في النحل: (ما كنا نعمل من سوء)، يعني: الشرك. وكقوله في الروم: (ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوآى)، يعني: أشركوا.

الوجه السابع: السوء، يعني: الشتم. فذلك قوله في النساء: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول)، يعني: الشتم. وكقوله في الممتحنة: (ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء)، يعني: بالشتم.

الوجه الثامن: السوء، يعني: بئس. فذلك قوله في الرعد: (ولهم سوء الدار)، يعني: بئس الدار، وكقوله في حم المؤمن: (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) غافر/٥٢، يعني: بئس الدار.

الوجه التاسع: السوء، يعني: الذنب من المؤمن، فذلك قوله تعالى في سورة الأنعام: (من عمل منكم سوءًا بجهالة)، يعني: الذنب، وقوله تعالى في سورة النساء: (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة)، يعني: الذنب. وكل ذنب من المؤمن فهو جهل.

الوجه العاشر: السوء: الضُرّ. فذلك قوله في الأعراف: (وما مسني السوء)، يعني: الضُرّ. وقال في النمل: (ويكشف السوء)، يعني: الضُرّ.

الوجه الحادي عشر: السوء: القتل والهزيمة، فذلك قوله في آل عمران: (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء)، يعني: القتل والضُرّ والهزيمة. وكقوله تعالى في الأحزاب: (إن أراد بكم سوءًا)، يعني: القتل والهزيمة.



موقف الدولة العثمانية من الأقليات الدينية

بقلم: د. علي معطي
استاذ جامعي - لبنان

إنّ معنى الأقليات في المفهوم الديني هم رعايا الدولة العثمانية من غير المسلمين: كاليهود والنصارى... ومشكلة الأقليات لم يكن لها وجود أصلاً في ظلّ نظام «الملّة العثماني» الذي كان يستمدُّ أحكامه من الشريعة الإسلامية.

وكان نظام الملّة للأقليات الدينية من يهود ونصارى ومجوس.. يسمح في ممارسة حياتهم الخاصة: الدينية والاجتماعية والإقتصادية، مكتفياً بأداء المكلّفين منهم للجزية، بينما كان يُعفى منها المساكين والعاطلين عن العمل والمشوّهين وذوي العاهات والطاعنين بالسن ورجال الدين المنقطعين في الأديرة للعبادة، ولم يُكلّف بأدائها إلا الرجال الأحرار من ذوي القدرة الجسدية والعقلية والعاملين المنتجين والموظفين...

أما الدول الأوروبية التي وضعت مصطلح الأقليات، كانت تنظر إلى المجتمع العثماني بأنه يتألف من عدد كبير من الأقليات، فإلى جانب الأقليات الدينية، أضافت هذه الدول إلى هذا المجتمع تقسيمات أقليات عرقية كثيرة: كالأكراد والبربر والأرمن والسريان والشركس من دون النظر إلى أنهم مسلمون أم لا !

فقد قال رئيس وزراء فرنسا في الحرب العالمية الأولى: «كان أصدقاؤنا الانكليز أسبق منّا في التنبيه على موضوع الأقليات المذهبية والعرقية في بلاد المشرق العربي. وقد اتفقتْ وجهَتا نظرنا كليًّا بشأن هذا الموضوع».

ويبدو أن لعبة الأقليات، التي ساهم الغرب في تعقيد مشكلاتها وبثّ الفرقة فيما بينها، لم ينتهِ دورها بإسقاط السلطان عبد الحميد الثاني ولا بإلغاء السلطنة العثمانية، وتمزيق الوطن العربي إلى أكثر من اثنين وعشرين دولة، بل حتى ولا بإقامة الكيان الصهيوني، فما زالت اللعبة في بدايتها، وما حروب الخليج والبوسنة وكوسوفو سابقاً، واليمن وسوريا والعراق وليبيا حالياً إلّا ضربٌ من هذا القبيل...

والتفسير التاريخي لبروز قضايا الأقليات في المشرق العربي يكمن في المعطيات الدينية والتاريخية والجغرافية والبشرية التي تميّزت منها منطقتنا. فقد كانت بلادنا مهداً للديانات السماوية، ومكاناً للقاء الجماعات اللغوية والعنصرية والهجرات البشرية، وإطاراً لتلاقح التيارات الفكرية والثقافية، ومركزاً لميلاد وسقوط العديد من الدول والأنظمة الأصيلة والدخيلة، ومسرحاً لحروب الآخرين من الشرق والغرب، وممرًّا للتجارة العالمية، ونافذة تطلّ على البحار الدولية ومحيطاتها: كالمحيط الهندي والمحيط الأطلسي والبحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي.

والحقيقة أن مشكلة الأقليات في الدولة العثمانية لم تبرز في العصور الحديثة، إلّا بعد أن قويت شوكة الدول الأوروبية، وكثُرَ تدخّلها في شؤون هذه الدولة العثمانية، وفي شنّ الحروب عليها واحتلال بعض أراضيها(١).

كما لم تبرز إلّا بعد أن سيطر أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، الذين كان معظمهم من يهود

الدونمة (٢)، على مقدّرات الدولة العثمانية عام ١٩٠٨.

ومن الحقائق التي تؤكّدها المصادر التاريخية أن سلاطين بني عثمان الذين تربّعوا على سدّة الحكم، قد حكموا الشعوب والملل التي انضوت تحت سلطتهم بالعدل والمساواة، وأعطوا النصارى واليهود منهم حقوقهم المدنية والدينية كاملة، وعيّنوا بعض رجالهم في مراكز القرار - فعلى سبيل المثال لا الحصر فقد عُيّن المسيحي اللبناني المدعو سليمان البستاني وزيراً للتجارة والزراعة عام ١٩١٣م/١٣٣١هـ(٣) - كما عاملوا رؤساءهم الروحيين بكثير من الاحترام والتبجيل، ومنحوهم إمتيازات مالية وقضائية ودينية. فكان هؤلاء يتولّون شؤون الحكم في أحوال طوائفهم الشخصية والدينية، بموجب أحكام قوانينهم الكنسية وأعرافهم المتوارثة. ويُنَصَّبُون في مراكزهم الدينية رسمياً من قِبل السلطان الذي يصدر فرماناً بذلك. ويُعطون الأموال والأراضي لبناء معابدهم. فالبطريرك إلياس الحويك، الذي تسلّم فرمان تعيينه بطريركاً على الموارنة عام ١٨٩٩ من السلطان عبد الحميد الثاني، مُنِحَ هبة مالية قدرها عشرة آلاف ليرة ذهبية، بما يوازي الثلاثة ملايين دولار أميركي في الوقت الحاضر. والبطريرك أفتيموس صيفي، الذي رغب في بناء دير للرهبان الكاثوليك، مُنِحَ أرضاً في منطقة إقليم الخروب من قبل علي بك جنبلاط، بنى عليه الدير المعروف بإسم دير المخلص عام ١٧١٢م/١١٢٤هـ.

وممّا لا ريب فيه أن هذه الحقوق وتلك الامتيازات التي تمتع بها النصارى واليهود، كرّسها السلاطين العثمانيون في سياساتهم وفرماناتهم التي كانوا يصدرونها تباعاً لهذه الغاية. فالسلطان محمد الثاني (الفاتح)، الذي فتح مدينة القسطنطينية عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، أعلن أمام الملأ يوم دخلها عند الظهر «أنه يضمن للمسيحيين: حرية العبادة، وإقامة شعائرهم الدينية، وحفظ أملاكهم»، ثم دعا أئمتهم لاختيار بطريقاً لهم (بطريركاً)، فاختاروا جورج سكولاديوس لهذا المنصب.

اعتمد السلطان الفاتح هذا الاختيار، وجعل البطريرك الجديد رئيساً لطائفة الروم (الأرثوذكس)، واحتفل بتنصيبه بالأبّهة ذاتها التي كان يمارسها ملوك الروم البيزنطيين عند تنصيب بطارقة المدينة. ثم عيّن له حرساً من جنود الانكشارية، ومنحه حق الحكم في جميع الشؤون والقضايا الخاصة بالمسيحيين الروم، وعيّن معه في ذلك مجلساً مشكّلاً من أكبر موظفي الكنيسة. كما منح هذا الحق لمطارنة وقساوسة ولايات الدولة كلّها(٤).

و زيادة على ذلك أصدر السلطان الفاتح فرماناً إلى قساوسة اللاتين(٥) جاء فيه ما يلي: «نحن السلطان محمد خان... نعلن لعامّة النّاس وخاصّتهم أننا أنعمنا على رهبان البوسنة الذين يحملون هذا الفرمان، وأصدرنا الأوامر: ألّا يتعرّض أحد لهؤلاء الرهبان ولا لكنائسهم، ولا يتمّ إزعاجهم... من يكون منهم في بلادي مستقرًّا فيها، أو هارباً إليها على حدّ سواء، لهم الأمن والأمان، يمكنهم أن يأتوا إلى بلادي ويسكنوا فيها بأمان، ويستقرّوا في كنائسهم... ولن يصيب هؤلاء (الرهبان) أي شكل من أشكال التعرّض والإضرار من أحد، لا منّا ولا من وزرائنا ولا من شعبنا...».

وفي ١٥ شوال من عام ٨٦٢هـ/١٤٥٨م أصدر السلطان الفاتح «فرماناً» آخر جاء فيه(٦):

«أمرت بما يلي: بناء على الإحسان الذي أُجْرِيَ سابقاً، فإن كنيسة القيامة التي في الداخل وجميع المعابد وأماكن الزيارة والدير الجورجي مار يعقوب والكنيسة الكبيرة في بيت لحم التي وُلد فيها سيدُنا عيسى (عليه السلام) خارج القدس والمغارة والأبواب الثلاثة الموجودة

في الكنيسة تكون تحت تصرّفه (أي تحت تصرّف بطريرك القدس أطناسيوس(٧))، ويُعفى البطارقة والكهنة النصارى والخدّام الموجودون في القدس من الأتاوات والخراج والضرائب الأخرى العرفية منها والشرعية».

و هكذا فالسلاطين الذين جاءوا بعد السلطان الفاتح ساروا في الخطى ذاتها التي خطاها تجاه الأقليات الدينية في الدولة العثمانية، وأصدر بعضهم فرمانات مشابهة، كان منها الفرمان الذي أصدره السلطان أحمد الأول (١٦٠٣ - ١٦١٧)م (١٠١٢ - ١٠٢٦)هـ يأمر فيه «فُويْفُودا بُوغْدان» - (وهو الاسم الذي أطلقه العثمانيون على أمراء الأفلاق والبغدان) - بعدم التعرّض لعبادة المطارنة والكهنة هناك، وممارسة الظلم عليهم.

وكان منها أيضاً الفرمان الذي أصدره السلطان سليم الثالث: (١٧٨٩ - ١٨٠٧)م (١٢٠٣ - ١٢٢٢)هـ فيه يعرض عدم إيذاء الروم والأرمن الذين يسكنون في استانبول وما حولها بطلب «آقجة» (نقد من الفضة)(٨) عند زواجهم وبالطرق المخالفة للقوانين، ثم الاهتمام بالفقراء وحمايتهم.

وكذلك أصدر السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ - ١٨٦١)م (١٢٥٥ - ١٢٧٧)هـ فرمانين شهيرين: عُرف الأول بإسم خط كلخانة الذي كان يقضي بإصدار قوانين لتنظيم أمور الدولة المالية والعسكرية، بموجب النظم الوضعية الأوروبية. وعُرف الثاني بإسم الخط الهمايوني أو التنظيمات الذي كان ينصّ على المساواة بين جميع رعايا الدولة على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، وعلى السماح للأقليات في دخول المدارس الحربية والإنخراط في القوى العسكرية...

وكان منها الفرمان الذي أصدره السلطان عبد العزيز والذي يقضي بإعفاء الرهبان اللاتين وقساوسة النصارى جميعهم من الضرائب الجمركية، وبإعطاء مساعدة مالية للمسيحيين في البوسنة لإتمام الكنيسة التي يقومون بتشييدها في مدينة طاشليجة.

أما السلطان عبد الحميد الثاني الذي اتّهم زوراً بأنه السلطان الأحمر، فقد أصدر أوامره بنقل السوق الذي يصادف اليوم المقدّس عند النصارى في مدينة أضنة إلى يوم آخر، وبجمع المساعدات المالية لبطريركية الأرمن الكاثوليك التي تعاني من ضيق مادي، وبإنشاء كنيسة في دار العجزة التابعة للمسيحيين الكاثوليك، وببناء كنيس في دار العجزة لليهود أيضاً، وبتشييد كنيسة خارج سور مدينة القدس لرهبان وراهبات الأحباش المقيمين هناك(٩).

هذه الفرمانات وغيرها ستظل صفحات بيضاء ناصعة في تاريخ بني عثمان خاصة وتاريخ المسلمين عامة، كما ستظلّ دليلاً ساطعاً على عدالة هؤلاء الحكام الذين مرّوا على تاريخ البشرية كشامة وعلامة شرف فارقة بين الشعوب والأمم السابقة والحاضرة.

ومما يزيد من شرف وشهامة سلاطين بني عثمان، استقبالهم لليهود الذين اضطهدوا في أوروبا عموماً وفي إسبانيا خصوصاً، وخيّروا فيها بين المسيحية والموت، والذين أقفلت دول أوروبا الأبواب في وجههم، فلم يجدوا ملاذاً آمناً يلتجؤون إليه إلا في بلاد المسلمين الذين استقبلوهم بالترحاب، وفتحوا لهم أبواب مدنهم وقراهم. واتخذ السلطان العثماني بايزيد الثاني (١٤٨١ - ١٥١٢)م (٨٨٦ - ٩١٨) هـ الذي كان حاكما حينذاك، قراراً بإعدام كل شخص يتعرّض إلى هؤلاء اليهود بالضرر أو الأذى(١٠).

وقد بلغت أعداد هؤلاء اليهود، الذين هربوا من القهر والتعذيب والقتل في اسبانيا وغيرها، في الحقبة الأولى مائة وخمسين ألف شخص، عدا الأعداد الكبيرة التي دخلت أراضي الدولة العثمانية عن طريق بولونيا وروسيا، وأقاموا



في استانبول وسالونيك.

وعلى الرغم من هذا الاستقبال وتلك الحفاوة فإن بعضا من هؤلاء اليهود مع بعض النصارى والمسلمين الذين كانوا على اتصال دائم بقناصل الدول الأجنبية، لم يتورّعوا من التآمر على الدولة العثمانية لتجزئتها والقضاء عليها. وقد ألّفوا لهذه الغاية جمعيات عديدة أدبية وسياسية، كان أخطرها على الإطلاق جمعية الإتحاد والترقي التي تشكّلت من جمعية تركيا الفتاة وبعض الجمعيات العثمانية الأخرى، والتي كان معظم أعضائها من يهود الدونمة الذين أشرنا إليهم قبلاً.

وقد استطاعت هذه الجمعية، بدعم من الدول الأوروبية الاستعمارية والماسونية العالمية، من القيام بالثورة ضد السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٨ وعام ١٩٠٩، وإجباره على الاستقالة ونفيه.

وبذلك أُسدل الستار على السلاطين العظام في تاريخ الدولة العثمانية، التي انهارت في نهاية الحرب العالمية الأولى، وتمزّقت شعوبا وقبائل ودولاً خضعت لدول الحلفاء، وحكمتها فيما بعد أنظمة دكتاتورية ظالمة لا هدف لها إلا إرضاء أسيادها لا إرضاء شعوبها(١١).

هوامش:

(١): من هذه الحروب: حملة نابليون بونابرت على مصر، وحروب روسيا في البلقان وشبه جزيرة القرم، واحتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠، ولتونس عام ١٨٨١، واحتلال بريطانيا لمصر والسودان عام ١٨٨٢، واحتلال إيطاليا لليبيا عام ١٩١١.

(٢) الدونمة ومعناها المتحوّل، واصطلاحاً المتحوّلون من اليهودية إلى الإسلام لتحقيق مآربهم وأهدافهم. وهم منافقو اليهود في العهد العثماني من أتباع شبتاي (١٦٣٢ - ١٦٧٥م) (١٠٤١ - ١٠٨٦هـ) الذين تحوّلوا معه إلى الإسلام ودخلوا فيه نفاقاً.

(٣) سليمان البستاني (١٨٥٦ - ١٩٢٥)، أديب وشاعر لبناني، وُلد في بكشتين، قضاء الشوف. نال شهرة واسعة بتعريبه إلياذة هوميروس، وبالمقدّمة التي وضعها عليها.



النخب الثقافية و مسؤوليتها الإجتماعية والوطنية

بقلم : الدكتورة هيفاء سليمان الإمام
أستاذة جامعية ورئيسة تحرير مجلة وميض الفكر للبحوث

تعريفات لا بد منها:

١- النخب الثقافية:

النخبة في اللغة هم صفوة القوم وقادتهم وخيارهم. إن دراسة النخبة تعني إلقاء الضوء على مكون أساسي في صنع الواقع السياسي والثقافي والديني في مجتمع ما.

وهي طبقة تتميز من قدرتها على التأثير أكثر من غيرها ومن هنا تأتي مسؤولياتها.

٢- الثقافة:

إنّ الثقافةَ نموٌ معرفيٌّ تراكميّ على المدى الطّويل؛ بمعنى أنّها ليست عُلوماً أو مَعارفَ جاهزة يُمكن للمجتمع أنْ يحصلَ عليها ويستوعبها ويفهمها في زمنٍ قصير، وإنّما تتراكمُ الثقافة في حقب طويلةٍ من الزّمن حتى تنتقلَ من جيلٍ إلى جيلٍ والثقافة مرتبطة بالحضارةِ الإنسانيّة إرتباطاً وثيقاً وتمثل القسم المعنوي منها من قيم وعادات وتقاليد وإرث تأريخي .

وقد ساهمتْ الثقافة في التّأثير بالفكر السياسيّ العام في الدّول، وغيّرت في العديدِ من المجالات الفكريّة السياسيّة. وهي شاملة؛ بمعنى أنّها لم تُغفِل أيّ جانب من جوانب الحضارة الإنسانيّة، إلاّ وأثّرت بها بطرقٍ ووسائل مُتعدّدة.

ويرى بعض العلماء أن الثقافة هي الإستمرار في الفهم، وهي ليست أمانا وإطمئنانا وليست ترفا وهدوءا، وإنما هي العيش في خطر وهى قلق وتوثب دائم . وهي حياة متحركة متفاعلة تدفع المثقف ليس للإطمئنان إلى الواقع وإنما إلى ما يجب أن يكون عليه مجتمعه وعالمه وهي جهد إيجابي خلاق .

وأود هنا أن ألفت الإنتباه إلى أن ثقافتنا العربية والإسلامية لم تزل بالف خير على مستوى القاعدة الشعبية، وذلك بشكل فطري وعفوي ، حيث اننا ما زلنا نحترم القوانين كلها على الرغم من غياب حماتها، وما زالت قيمنا من كرم وتسامح وتكافل إجتماعي راسخة في مجتمعاتنا، طبعا بشكل فطري غير منظم، وذلك بنسبة لا بأس بها على صعيد الأشخاص وليس على صعيد المؤسسات.

وعلى الرغم من كل شيء فأمتنا بما تختزنه من قيم مازالت قادرة على النهوض إن أرادت، وإن توافرت لها الظروف المناسبة. «وذلك لأن لحظة من الظلام لا تعني أن الناس قد أصيبوا بالعمى»

٣- من هو المثقف النخبوي؟

المثقف هو الشخص الذي يمارس العمل الذهني والتفكير وينتج الآداب والعلوم والفنون ويخترع التكنولوجيا.

وبعضهم يرى أن المثقف رمز من رموز التغيير، فهو يعمل بدون أن ينتظر المكافأة.

و المثقف هو رجل الإختيار ورسم البدائل لشعبه وأمته، أو هو ذلك الفرد الواعي ما يدور حوله من أحداث بما يمتلكه من حصيلة معارفه، وهو يعمل دائما بموضوعية على خلق حالة من الوعي لدى المواطنين للوصول إلى موقف معين يتفاعل معه في صياغة الوعي المجتمعي لإحداث تغيير في الأوضاع السائدة .

- ومن أهم صفات المثقف الدور النقدي التنويري والإندماج المجتمعي.

- وعند سارتر المثقف ليس مسؤولا عن نفسه فقط، بل مسؤولاً عن كل الناس .

من هنا نستحضر الآية ١١٧ من سورة هود (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) ، إذن لا يكفي أن نكون صالحين، بل علينا أن نكون مصلحين في مجتمعاتنا لننال رضا الله عزّ و جلّ.

و المفكر الأمريكى نعوم تشوميسكي يرى بأن المثقف هو من حمل الحقيقة في وجه القوة من هنا تأتى أهمية الرسالة المنوطة بالمثقف بأن يكون مسؤولاً ، و أميناً، و تقياً ، وذلك لأن الله عزّ و جلّ خصه بظروف وقدرات ومكانة ميزته من غيره من الناس.

٤-النخب الثقافية العربية واللبنانية ودورها في المجتمع:

هناك من يرى أن النخبة الثقافية في الوطن العربي مسخرة لخدمة السياسة والأنظمة الحاكمة.

وتفتقد القدرة على التنوير والتثوير، ولا أمل منها إلاّ بظهور نخبة جديدة تؤسس لمستقبل أفضل، يتمكن بوساطته المثقفون من إنتاج القيم الثقافية الحرة المتحررة من قبضة الحكام. وتحارب كل صنوف الخضوع ومظاهر الإستبداد سواء أكان خارجيا أم داخليا .

- و من المثقفين العرب من يهادن السلطة ويتكيف مع الواقع ، ويعقد مع النظام الحاكم صفقات يتنازل فيها عن دوره التنويري، بل يتحول إلى داعية للنظام ومدافع عن أطروحاته ويبشر بأفكار الحاكم ويروج لها .

- ومنهم من يساهم في عملية تضليل الوعي لدى الجماهير، ويعمل على بث أفكار هدامة لقيمنا، و المؤسف أن يتقبله بعض الناس، لأنهم يعتبروه لسان حال لهم ، و من يقوم بهذا الدور إما جاهل وإما يعرف ويتقصد ذلك وهذه هي المصيبة.

- كما أن هناك نمطا أخر، وهو المثقف المحايد الذي ينأى بنفسه عن الإصطدام، وعندما يخاطب الناس يكون خطابه مجرد أفكار مبسترة لا تحرك في العقل ساكنا .

و هناك من يقول أن المثقف المحايد أخطر من مثقف السلطة ، لأن مثقف السلطة مكشوف لدى غالبية الناس ومكروه منهم دائما، وهم لا يثقون فيما يكتب أو يطرح من أفكار، في حين أن المثقف المحايد له دور يشبه المخدر الذي لا يشفي من الداء، و لهذا قال السيد فضل الله أن الحياد في زمن المفاصل خيانة .

- و هناك من المثقفين ، المناضل والمقاوم والواعي الذي يحمل المسؤولية الوطنية والمجتمعية، وهذا النوع غالبا ما يكون مُحارَبا ومُهمَشا وقليلَ الحيلة.

وطبقة النخب الثقافية تعيش عزلة في المجتمعات العربية، ومعطلة ثقافيا بشكل شبه كلي. بحسب واسيني الأعرج الأديب الجزائري، الذي وثق هذه الحالة في مقال له، وقال إن النخب الثقافية تجد نفسها أمام مأزقين؛

- الأول يتلخص في كونها لا تنتج معرفة مواكبة لمعضلات العصر الذي تعيشه، لأن أطروحاتها كثيرا ما تكون مرفوضة،

- أما المأزق الثاني فهو أنها حين تتجاوز صعوباتها الوجودية وتنتج هذه المعرفة، فهي لا تصل، لأن قدرة الإستيعاب الجماهيرية محدودة، وغير مهيأة لأي تغيير في الذهنيات، ولا يعود السبب في ذلك إلى مشكلة الأمية وحدها، لكن إلى غياب الاستراتيجيات، والوسائط التنظيمية التي تنقل المنتج المعرفي.

وعلى الساحة اللبنانية فإن الموقف من السياسة قسّم المثقفين إلى ثلاثة أقسام بين مؤيد لتبني آراء ومواقف سياسية ، وآخر معارض لها، و قسم ثالث إختار ما سماه الموضوعية حيث إعتبر أن لا ناقة له ولا جمل فيما يحصل.

فمثلاً: هناك من المثقفين اللبنانيين من وقف عام ١٩٨٢ في شوارع بيروت يحيي المجنزرات الصهيونية التي غزت وطننا لبنان، و بعضهم رشّ الورد على الجنود الصهاينة الغزاة، وإعتبرهم «محررين»، ولا يزال محتفلا بهم حتى الآن بوصفهم رمز لبنان الثقافي.

و في المقابل هناك مثقفون لبنانيون دفعوا حياتهم ثمنا لقناعات وطنية وقومية تقف على النقيض تماما من أفكار أولئك المثقفين المذكورين ، و هؤلاء الوطنيون يحتفل بهم بإطلاق تسمية شهداء الفكر والحرية عليهم.

ويفسر الكاتب والصحفي في جريدة الأخبار بيار أبي صعب الحالة الثقافية والسياسية تلك بقوله إن «الغائية والنفعية جزء من التركيبة اللبنانية». ويضيف في حديث للجزيرة نت أن الشعب اللبناني «يملك ذاكرة ضعيفة» وأنه «شعب تاجر في الأساس».

وأوضح أن لبنان «خليط من التناقضات» وأن «السياسة هنا حرب أهلية دائمة على عكس ما يجري في بلاد أخرى تكون فيها الحياة السياسية خيارا ولعبة ديمقراطية».

أما عن دور الفعاليات والمنتديات الثقافية في لبنان ، وفي الوطن العربي بشكل عام، فهي لا تقوم بدورها المطلوب الذي هو كما ذكرنا التوعية والتنوير ومقاومة الفساد والظلم والعمل على رسم خارطة طريق للخروج من الأزمات ، وفي إنتاج ستراتيجيات فعالة لبناء أقطارها وصناعة حضارتها بيدها وفكرها، أو على الأقل لإدارة الأزمات ألتي تمر بها المجتمعات.

والنخب والقيادات اللبنانية والعربية (كي لا نكون من الظالمين) تكتفي في وقتنا الحالي بأن تقف متفرجة أمام صنائع أعدائها إن لم تساهم بإنجاح مشاريعهم وأهدافهم الإستعمارية التدميرية .

وهنا أود أن أذكر لكم ما قاله أحد الكتّاب: بأن العامة لا تلام بقدر ما تلام النخب من المفكرين والعلماء والقيادات السياسية المؤثرة بمجتمعاتها ، والتي تدعي بأنها ملمة بما يدور حولها ولديها تفسير لكل ما يجري، وهي في الحقيقة تجهل أن هناك استرتيجيات أكثر تعقيدا من مجرد قراءة ما يكتب ومتابعة ما يحدث. ذلك لأن هناك في ستراتيجيات الصراع الدولي من يفتعل الأحداث للتاثير بالأفكار، ومن يستعمل الأفكار لخلق الأحداث،

وهناك من يرصد ديناميكيات التفاعل الإجتماعي والتاثير بخلفيات الوعي الجمعي بوساطة السيطرة على وسائل الإعلام والتحكم بأدوات التحليل، والضغط الخفي بوساطة التدخل بالأحداث ومن ثم التحكم بالنتائج والسلوكيات غب الطلب .

كما يتحدث في الكتاب نفسه عن ستراتيجية الفوضى الخلاقة التي نفذتها إدارة الرئيس جورج بوش الإبن بوساطة دراسة لروبرت ستالوف، والذي حصل على معلوماتها من مركز دراسات الشرق الأوسط في واشنطن، وهذه الدراسة تحدثت عن هذه الاستراتيجية والتي يعتبر أن أهم ما تختزنه في جوهرها هي ديناميكية التفاعل عبر الحدود السياسية من القطر اللبناني إلى باقي الدول العربية وبالعكس، كما وتضم الإعلام مع السياسة، و الأفعال الحربية مع أدوات التحليل، والأفكار السياسية مع الأفكار الدينية والعقيدية، و الهويات الوطنية مع الهويات الفرعية، مع الدينية والمذهبية منها، فضلا عن الهويات القومية.

وتحدث ستالوف عن هذه الاستراتيجية بخصوص لبنان فقط وكأنه نقطة إنطلاق، ومنه و بوساطة أحداثه تستهدف المنطقة بأكملها، ومن هذا الإستهداف نحصل على نتائج، والهدف من النتائج إعادة صياغة الوعي

في الوطن العربي.

واستراتيجية استالوف ترتكز في نظرية التفاعل الكيميائي بين المكونات للوصول إلى المكون المنشود أي تفكيك المكون لإعادة تركيبه بشكل جديد يحقق أهدافا غريبة عنه.

وأمام هكذا تخطيط واضح الأهداف والأبعاد، وهكذا وعي لقوانين التفاعل العابر للحدود والمنتشر على أكثر من ساحة أو صعيد أو إختصاص علينا أن نسال أنفسنا كمثقفين أين دورنا؟؟

هل واجهنا هذه المخططات بمخططات مماثلة معاكسة تجمع كل هذه الأمور ؟

وهل تحركنا على مستوى السياسات وعلى مستوى الأفكار والإعلام والحراك الشعبي والعمل العسكري بطريقة مؤثرة إقليميا عابرة للحدود ؟

و هل عالجنا أمراضنا لكي لا نكون أداوات طيعة بيد الذين يخططون للفوضى الخلاقة في منطقتنا؟

أم أننا دخلنا الصراع بأمراضنا ذاتها، ونحن نظن أن فيها خلاصنا وفيها أدوات نصرنا، وحينها نكون كمن يرقص على وقع موسيقى الأعداء وينفذ ما يرسمون له؟

- **أين هم مثقونا ونخبنا ومفكرونا؟**

- أين هي مراكز أبحاثنا ومؤسساتنا الأهلية والإجتماعية والتي تُعنى بالثقافة وتقودها النخب

إن فئة لا تحمل مسؤولية وطنية وإجتماعية ولا ترى لأبعد من أنفها تسيطر على الجمعيات والنوادي والمؤسسات الإجتماعية والثقافية هي حالة خطرة جدا على تنوير المكونات كافة.

فالمنتديات والجمعيات الثقافية والإجتماعية في لبنان الآن تعاني من إنحدار فكري استراتيجي، حيث أنها وجدت في جمعيات الأمم المتحدة والدول الغربية مصدر حل مهم لأزماتها المالية، و وقعت تحت إغراء الهبات المالية السخية، والمشاريع التطبيعية في مجتمعاتنا، وخضعت لشروطها المدروسة، حيث أن هذه الجمعيات لا تمول إلاّ ما يخدم أهدافها المشبوهة، وغالبا ما تكون غريبة عن حاجاتنا.

وهذه الجمعيات تعمل كالمخابرات بين مكونات مجتمعنا وبين أسره، وقد تزرع الشقاق والعنف داخل الأسرة الواحدة، وهي تنخر في مجتمعاتنا العربية واللبنانية بشكل سافر بدون حسيب أو رقيب.

وهنا نستخلص أن غياب النخب الثقافية عن أكثر الملفات الثقافية إثارة للجدل، ويرى مثقفون أن عودة النخب إلى دورها الحقيقي المؤثر تبدأ بالإعتراف بالقصور ومراجعة الذات.

وعن هذا يقول الدكتور حسن مسكين :

«من الطبيعي أن يقف المثقف وقفة تأمل ومراجعة للذات، يقدم فيها حصيلة إنتاجه، ومواقفه وتصوراته، ويجيب عن أسئلة حاسمة، من أبرزها:

- أما آن للنخبة المثقفة أن تعود لتمارس دورها في التوعية والمبادرة والتوجيه ؟
- أما آن لها أن تتخلى عن دور المتفرج، بعد أن إستكان معظم روادها، وإكتفوا بلعب دور المشاهد أو المهزوم، الذي أعلن إستسلامه الكامل من كل ما له علاقة بالفكر النقدي، والثقافة البناءة، والمشاركة الفعالة؟
- أم أن المثقف إستكان للراحة الشاملة، فأعفى نفسه من مسؤولية إختياره طوعا، ثم ما لبث أن تنازل عنها مجبرا أم مخيرا؟».

وهنا يعد الدكتور حسن مسكين أن من المفارقات المميزة للمثقف العربي :

١- رغبته الملحة في التغيير، لكن ذلك يكون من منطق الوصاية لا المحاورة؛ بوساطة فرض حقائقه الثابتة،

٢- وهو يهدف إلى التأثير بالعامة، وعينه

على الخاصة في الوقت نفسه،

٣- ويقول بالإنتماء إلى العامة، وفي ذاته الداخلية إحساس بالفوقية والتعالي على العموم.

وفي هذا المجال إود أن أحدثكم عن كتاب (نظام التفاهة) للدكتور آلان دونو، ترجمة د.مشاعل عبد العزيز الهاجري

وهذا الكتاب يدور على فكرة تتعلق بسيادة نظام أدى تدريجيا لسيطرة التافهين على جميع مفاصل الدولة الحديثة.

وفي هذا الكتاب يقوم الكاتب بنوع من التمرين الفكري بشأن «هذا التحدي الهائل، والغامض مع ذلك» الذي يصيبنا وجميع المعاصرين. ويقصد «التفاهة» المنتشرة. وإذا دققنا في الأمر سنجد أن لبنان قد يكون من البلدان الغارقة بالتفاهة على المستوى السياسي والسلطوي والإجتماعي والبيئي..

وكما يقول الكاتب : هناك أمثلة كثيرة لا تنضب عن مساهمة التفاهة في فساد اللغة والأفكار والمثقفين والوسط الجامعي والإقتصاد والفن والثقافة والدولة.

هذا وقد إبتكر الكاتب مفهوما مطابقا لما يسود عالمنا ككل والوطن العربي بشكل خاص؛ فكتابه الذي نشرت ترجمته في العام ٢٠١٥ مما يعني أنه كتب قبل هذا التأريخ.

لذلك من الطبيعي أن تحتفل به بعض النخب العربية في ظل التدهور المريع لأوطاننا،

فمضمون هذا الكتاب المهم والقيم -على الرغم من مناقشته للتفاهة بكل أبعادها- يبحث :

سيطرة التافهين على العالم :

حيث يقول لقد ربح التافهون الحرب ، وسيطروا على عالمنا وباتوا يحكمونه. وحلت القابلية للتعليب محل التفكير العميق !

و يتوجه ساخراً إلى المثقف بقوله:

لا لزوم لهذه الكتب المعقدة. و لا تكن فخوراً ولا روحانياً. فهذا يظهرك متكبراً. ولا تقدم أي فكرة جيدة. فستكون عرضة للنقد. ولا تحمل نظرة ثاقبة، و وسع مقلتيك، و أرخ شفتيك، و فكر بميوعة - أي مرونة وقابلية للتشكل - وكن كذلك. فعليك أن تكون قابلاً للتعليب، فلقد تغير الزمن، بعد أن أمسك التافهون بالسلطة.

٣- كما ويذكر أن من أسباب سيطرة التافهين على العالم:

أن (المهنة) صارت (وظيفة) وليست حرفة. وصار شاغلها يتعامل معها كوسيلة للبقاء لا غير. فقد إنحدر مفهوم العمل إلى (المتوسط). وصار أشخاصه (متوسطين)، بالمعنى السلبي للكلمة.

أما من ناحية السياسة :

فيقول إن السياسة إستبدلت بمفهوم (الحوكمة)، وإستبدلوا الإرادة الشعبية بمفهوم (المقبولية المجتمعية)، والمواطن بمقولة (الشريك). وفي النهاية صار الشأن العام تقنية (إدارة) لا منظومة قيم ومُثلا ومبادئ ومفاهيم عليا. وصارت الدولة مجرد شركة خاصة، و أصبحت المصلحة العامة مفهوماً مغلوطاً لمجموع المصالح الخاصة للأفراد. وغدا السياسي تلك الصورة السخيفة لمجرد لوبي ناشط لمصلحة زمرته، وأصبحت قاعدة النجاح هي أن (تلعب اللعبة) ، ففي ظل نظام التافهين تحول النجاح أن تلعب لعبة: من هذين المنطلقين، تنميط العمل وتسليعه وتشييئه، وتفريغ السياسة والشأن العام، و هكذا صارت التفاهة نظاماً كاملاً على مستوى العالم. وصارت قاعدة النجاح فيها أن (تلعب اللعبة).

٥- أما الخبير فوصفه بأنه أفضل تجسيد لنظام التفاهة:

فجامعات اليوم صارت مصنعاً للخبراء، لا للمثقفين ! حتى أن رئيس جامعة كبرى قال مرة أن «على العقول أن تتوافق مع حاجات الشركات»

فنظام التافهين هو حقبة من تطور النظام الإقتصادي الرأسمالي:

ومن هذا التحليل يتضح لنا أن نظام التافهين ولد في الدول الغربية الرأسمالية، و إنتقل إلينا وهكذا صار يشمل الدول النامية ودول العالم الثالث، التي تطبق النظام الإقتصادي الرأسمالي تحت شعارات خادعة عن : الإنفتاح الإقتصادي، والإصلاح الإقتصادي والخصخصة، والتحرير الإقتصادي، الليبرالية الجديدة، فنظام التافهين لهو نظام عالمي يشمل الدول المتقدمة والنامية على حد سواء.

ويؤكد الكاتب على إرتباط نظام التافهين بالإستبداد:

ففي ظل الإستبداد يتقدم المنافقون، ويدعم هذا التقدم أن الأنظمه الإستبدادية تستند إلى قاعدة الولاء وليس الكفاءة ، كما أن النفاق صفة مميزة لنظام التافهين.

- و السؤال الذي يطرح نفسه كيف الخلاص؟

ويعود الدكتور آلان دونو ليقول أن نظام التفاهة هذا فاشل بيئيا وظالم إجتماعيا.

فهو يسمح لخمسين في المئة من خيرات كوكبنا بأن تكون حكراً على واحد في المئة من أثريائه.

لذا فمن المطلوب أن نقاوم التجربة والإغراء وكل ما لا يشدنا إلى فوق. وأن لا نترك لغة الإدارة الفارغة تقودنا. بل المفاهيم الكبرى. وأن نعيد معاني الكلمات إلى مفاهيم مثل المواطنة، والشعب، والنزاع، والجدال، والحقوق الجمعية، والخدمة العامة والقطاع العام والخير العام.

وهنا أود أن ذكر لكم ما قالته أمامنا السيدة صقر رئيسة الجامعة الأمريكية للتكنولوجيا A U S T: أثناء عشاء خيري لدعم أطفال السرطان في كازينو لبنان:

إن الجامعات الأمريكية في العالم كله عقدت مؤتمرا عاما لتناقش ما قدمته هذه الجامعات وسياساتها للبشرية والإنسانية فوجدت أنها وللأسف قدمت للأجيال الثالوث المدمر (السلطة والمال والمتعة) . و هذه هي سياسة السوق وما تحمله من ربح مادي قاتل للإنسانية .

وأخيراً:

إن إهمال اللغة القومية وإحلال لغات أخرى مكانها في المخاطبة اليومية والتدريس والإنتاج الثقافي تحت ستار الدخول الخادع في العالمية، يقود حتما إلى تبعية ثقافية يصعب تجاوزها أو التخلص من أضرارها الكبيرة. و هذا ما يبدو واضحا من أن تبعية العرب الثقافية للغرب قادت إلى الإستلاب في نواحي عديدة، وتمخضت عن إنتاج ثقافي هزيل باللغة العربية. علما أنه في ذاك اللقاء، فإن غالبية المتنورين العرب قد شددوا على ضرورة التمسك باللغة العربية لكي تلعب الدور الأساسي في المحافظة على هويتهم المميزة وخصوصيتهم الثقافية.

المراجع:

١- آلان دونو، كتاب نظام التفاهة ، ترجمة وتعليق الدكتورة مشاعل عبد العزيز الهاجري، دار سؤال؟ -لبنان، الطبعة الاولى ٢٠٢٠.

٢- ألبير داغر، النخبة في لبنان ، جريدة الأخبار، الأربعاء ١٨ كانون الأول ٢٠١٩

٣- بدران مسعود بن الحسن، النخب المثقفة ودورها في تحقيق نهضة الأمة ، مقال نشر في مدونة الجزيرة ٢٠١٧/١١/٢١

٤- حسن مسكين، أزمة النخب العربية الثقافة والتنمية، مؤسسة الرحاب الحديثة ٢٠٠٧

٥- محمد نبيل الشيمي، النخبة وتأثيرها في تكوين وإستقرار المجتمعات وتشكيل نسق الحكم والفكر، المركز الديمقراطي العربي، ٢٧ يناير ٢٠١٦

٦- مسعود ظاهر، النخب الثقافية العربية وإشكالية التصدي للتدمير الثقافي، جريدة النهار ٣٠ ايار ٢٠١٥



د. محمد عمارة .. خطاب عقل بين دفتي الفكر

د. محمود محمد علي

استاذ من مصر
رئيس قسم الفلسفة وعضو مركز دراسات المستقبل

غيّب الموت العالم الكبير الدكتور محمد عمارة عن عمر يناهز ٨٩ سنة تاركاً سمعة وسيرة عطرة ستخلّده في قلوب من عرفوه، والمفكر الإسلامي محمد عمارة من مواليد ٨ ديسمبر ١٩٣١ بإحدى قرى محافظة كفر الشيخ، لأسرة بسيطة، ليكون الكُتّاب هو مدرسته الأولى، وأتم حفظ القرآن الكريم وهو لم يتجاوز العاشرة، بقرية قلين بكفر الشيخ، حفظ القرآن وجوده وهو في كُتّاب القرية، بدأت تنمو إهتماماته الوطنية والعربية وهو صغير، وكان أول مقال نشرته له صحيفة (مصر الفتاة) بعنوان: (جهاد عن فلسطين).

وبدأت مسيرة عمارة الفكرية مع أوائل السبعينيات ؛ فإلتحق عام ١٩٤٥ بالمعهد الأزهري؛ حيث أتم تعليمه الإبتدائي والثانوي، ليدخل بعدها المعهد الأحمدي الثانوي الأزهري فنال الشهادة التي أدخلته كلية دار العلوم جامعة القاهرة، فتخصص بالفلسفة الإسلامية واللغة العربية، وبعد ذلك حصل على الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ١٩٦٥م، ثم حصل على الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص فلسفة إسلامية



- كلية دار العلوم- جامعة القاهرة ١٩٧٠م وذلك في موضوع بعنوان (مشكلة الحرية الإنسانية عند المعتزلة)، وبعد ذلك درس الدكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص فلسفة إسلامية - كلية دار العلوم-جامعة القاهرة ١٩٧٥؛ كما شغل عدة مناصب منها عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، ورئيس تحرير لمجلة الأزهر، وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف.

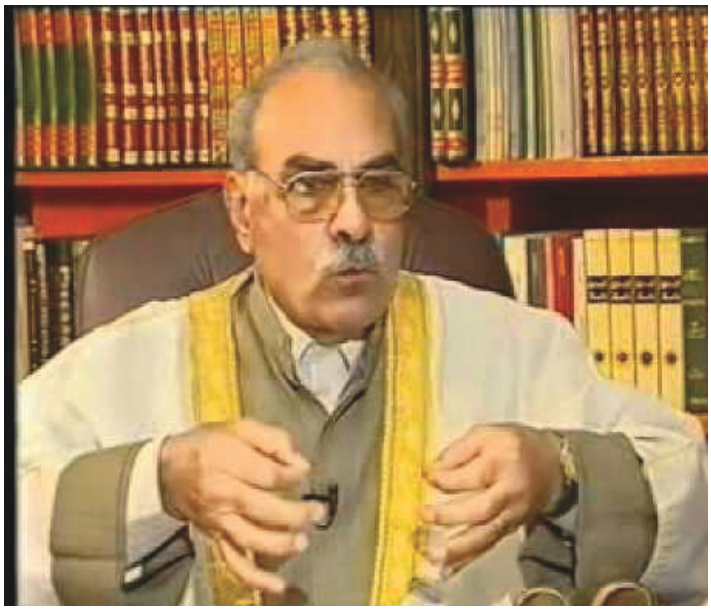
ولمحمد عمارة كتابات كثيرة، حيث - ألف الكتب والدراسات عن أعلام التجديد الإسلامي مثل: الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا، والشيخ محمد الغزالي، ورشيد رضا، وخير الدين التونسي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وعبد الرحمن



الكواكبي، ومن أعلام الصحابة علي بن أبي طالب، كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامي القديمة والحديثة وعن أعلام التراث من مثل غيلان الدمشقي، والحسن البصري.

كما توجد له كتابات أخرى مثل:
التفسير الماركسي للإسلام، والمعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، ومعالم المنهج الإسلامي، والإسلام والمستقبل، ونهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام، ومعارك العرب ضد الغزاة، والغارة الجديدة على الإسلام، والوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ، والتراث والمستقبل، والإسلام والتعددية، والإبداع الفكري والخصوصية الحضارية، والجامعة الإسلامية والفكرة القومية، ومعركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، والقدس الشريف رمز الصراع وبوابة الإنتصار،
وهذا إسلامنا: خلاصات الأفكار، والصحوة الإسلامية في عيون غربية، والغرب والإسلام، والإنتماء الثقافي والتعددية، الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، وصراع القيم بين الغرب والإسلام، والنموذج الثقافي، وتجديد الدنيا بتجديد الدين، والثوابت والمتغيرات في فكر اليقظة الإسلامية الحديثة، ونقض كتاب الإسلام وأصول الحكم، والحملة الفرنسية في الميزان، والحضارات العالمية: تدافع أم صراع، والقدس بين اليهودية والإسلام، والأقليات الدينية والقومية: تنوع ووحدة أم تفتيت وإختراق، وخطر العولمة على الهوية الثقافية، و مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية و غيرها.

ومن أواخر مؤلفاته في الفكر الحديث: الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديل الأمريكاني، الغرب والإسلام أين الخطأ.. وأين الصواب؟، مقالات الغلو الديني واللاديني، الشريعة الإسلامية والعلمانية



الغربية، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، أزمة الفكر الإسلامي الحديث، والإبداع الفكري والخصوصية الحضارية، وغيرها كثير، وكتابات د.محمد عمارة وأبحاثه التي أثرى بها المكتبة العربية والتي وصلت إلى ٢٠٠ مؤلف، قد إتسمت بوجهات نظر تجديدية وإحيائية، والإسهام في المشكلات الفكرية، ومحاولة تقديم مشروع حضاري نهضوي للأمة العربية والإسلامية في الحقبة التي تعيش فيها الآن.

وعلاوة على ذلك فإن د.محمد عمارة قد أسهم في العديد من الدوريات الفكرية المتخصصة، وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية، ونال عضوية عدد من المؤسسات الفكرية والبحثية، منها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والمعهد العالي للفكر الإسلامي.

و د. محمد عمارة ينتمي إلى المدرسة الوسطية ويدعو إليها، التي قال عنها إنها (الوسطية الجامعة) التي تجمع بين عناصر الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة، فتكوّن موقفا جديدا مغايرا للقطبين المختلفين، ولكن المغايرة ليست تامة، فالعقلانية الإسلامية تجمع بين العقل والنقل، والإيمان الإسلامي يجمع بين الإيمان بعالم الغيب والإيمان بعالم الشهادة، والوسطية الإسلامية تعني ضرورة وضوح الرؤية بإعتبار ذلك خصيصة مهمة من خصائص الأمة الإسلامية والفكر الإسلامي. و ممن كتبوا عن د.محمد عمارة للرد على أفكاره أكرم ذياب الذي قال:

د.محمد عمارة قد مر بتحولات فكرية عديدة، وقد مر بأطوار من الماركسية إلى الإعتزال فالسلفية إلى غير ذلك .

بينما يقول د. محمد عباس: إن د.محمد عمارة هو واحد من كوكبة لامعة صادقة هداها الله فإنتقلت من الفكر الماركسي إلى الإسلام، وكانت هذه الكوكبة هي ألمع وجوه اليسار، فأصبحت ألمع وجوه التيار الإسلامي، ودليلا على أن خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام.

و من الجدير بالذكر أن د. محمد عمارة قد حصل على العديد من الجوائز والأوسمة والشهادات التقديرية والدروع، منها جائزة جمعية أصدقاء الكتاب، بلبنان سنة ١٩٧٢م، وجائزة الدولة التشجيعية بمصر سنة ١٩٧٦، ووسام التيار الفكري الإسلامي القائد المؤسس سنة ١٩٩٨م. فرحم الله د.محمد عمارة بقدر ما أعطى و خدم الثقافة العربية و الإسلامية.



حلف غادر لأعداء في الظاهر

كتابة: د. رعد مقبل العبيدي
محام وأستاذ جامعي - العراق

إلى من تهمه معرفة الحقيقة، و إلى الذين يشككون بوجود العلاقة الآثمة بين الأمريكان و إيران و الصهاينة، و أغلبهم لا يقرأون، و يزعجهم أن غيرهم يقرأ، ويبحث حتى يتعب نفسه، فيكشف حقائق تزيد من وعيه، و تنير له تفكيره، فيتعرف على حقيقة المظاهر من حوله.

فيما يلي قراءة سريعة في كتاب، تحالف الغادرين أو التحالف الغادر...التعاملات السرية بين الكيان الصهيوني وإيران والولايات المتحدة الأمريكية. للمؤلف د.تريتا بارزي

تعريف بالكتاب :العنوان باللغة الأنكليزية TREACHEROUS ALLIANCE

نشره Caravan Books - By Yale University

سنة ٢٠٠٧، وقام بترجمته إلى العربية (أمين الأيوبي) بعنوان (حلف المصالح المشتركة) و نشرته - الدار العربية للعلوم ناشرون- بيروت – سنة ٢٠٠٨، وقد جاءت الترجمة العربية في (٤٤٥) صفحة ، و بعد المقدمة فصل أول بعنوان: محمود أحمدي نجاد خارج نطاق السيطرة، و من ثم يتقسم الكتاب على ثلاثة أقسام:

الأول بعنوان : حقبة الحرب الباردة من صفحة ٤١ إلى ١٩٦.



و القسم الثاني بعنوان : الحقبة أحادية القطب و شمل الصفحات من ١٩٧ إلى ٣٥٨.

أما القسم الثالث و الأخير فهو بعنوان: التطلع إلى المستقبل و هو من صفحة ٣٥٩ إلى ٣٩٠.

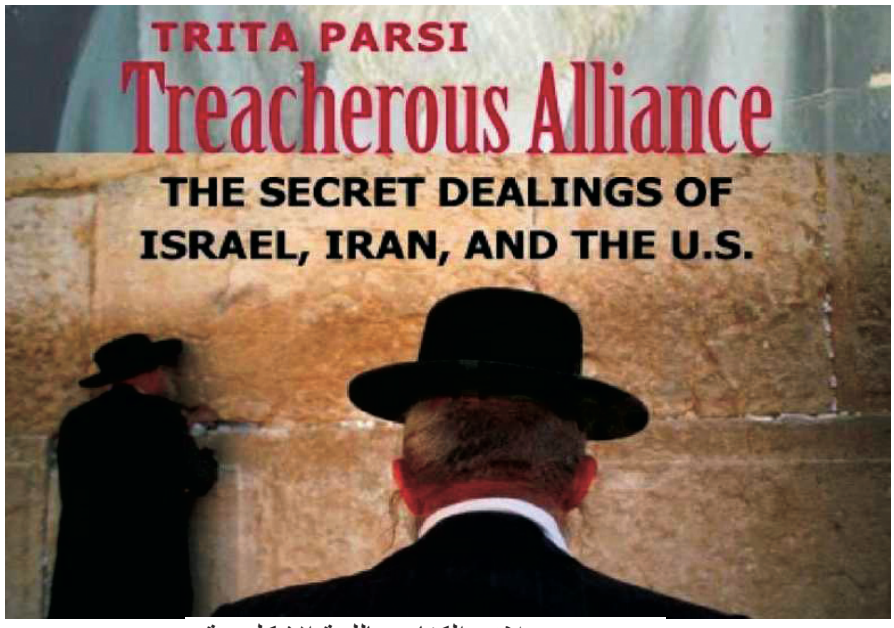
وباقي الصفحات من ٣٩١ إلى ٤٤٥ فهي للملاحظات والهوامش، وقد تضمنت ملاحظات و إحالات مهمة لتأكيد وتوثيق ما جاء في الكتاب و المصادر والمقابلات، التي أجراها المؤلف، حيث قابل شخصيات

أمريكية و إيرانية و مسؤولين في الكيان الصهيوني.

والكاتب هو(د.تريتا بارزي) ولد في إيران، ونشأ في السويد وحصل على شهادة الماجستير في العلاقات الدولية، ثم على شهادة ماجستير ثانية في الإقتصاد من جامعة ستوكهولم، لينال فيما بعد شهادة الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة جون هوبكينز، و كانت رسالته عن (العلاقات الإيرانية و الكيان الصهيوني).

و بعد حصوله على الدكتوراه أصبح أستاذ العلاقات الدولية في جامعة جون هوبكينز نفسها، والكتاب يكتسب أهميته من المصداقية التي يتمتّع بها د.تريتا بارزي بإعتباره خبيرا في السياسة الخارجية الأمريكية . و كونه يرأس المجلس الإيراني – الأمريكي.
والمؤلف له العديد من الكتابات عن الشرق الأوسط، وهوالكاتب الأمريكي الوحيد تقريبا الذي استطاع الوصول إلى صنّاع القرار(بمستويات متعددة) في البلدان الثلاثة أمريكا، و الكيان الصهيوني وإيران.
والكتاب يستند إلى أكثر من ١٣٠ مقابلة مع مسؤولين رسميين صهاينة، وإيرانيين وأمريكيين رفيعي المستوى من صنّاع القرار في بلدانهم. زيادة على العديد من الوثائق والتحليلات والمعلومات القيّمة.
ولهذا الكتاب أهمية خاصة ناتجة من كمية المعلومات الدقيقة التي كشفها المؤلف، زيادة على التعريف بطبيعة العلاقات والإتصالات التي تجري خلف الكواليس بين هذه البلدان، (الولايات المتحدة الامريكية - والكيان الصهيوني- وإيران).
و الكتاب يشرح الآليات وطرق الإتصال والتواصل فيما بين هذه الأطراف الثلاثة في سبيل تحقيق المصلحة المشتركة التي لا تعكسها الشعارات والخطابات والسجالات الإعلامية والموجّهة للتعمية و التغطية على حقائق ما يجري.

وفي هذا الكتاب يقوم د.تريتا بارزي بدراسة معمقة للعلاقة الثلاثية بين كل من الكيان الصهيوني، وإيران والولايات المتحدة الأمريكية، لينفذ من ذلك إلى شرح الآلية التي تتواصل بوساطتها حكومات الدول الثلاث، و كيفية عقد الصفقات السريّة والتعاملات غير العلنية لتحقيق مصالحها على الرغم من الخطاب الإعلامي للعداء الظاهر فيما بينها.
و قد نجح د.تريتا بارزي في فهم وعرض اللعبة السياسية التي تتّبعها هذه الأطراف الثلاثة، حيث تمكن من تفسير العلاقة الثلاثية من وجهتي نظر متداخلتين في تقويمه للموقف بين هذه الأطراف، و ذلك على النحو التالي:
أولا: ببيان الإختلاف بين الخطاب الإستهلاكي العام (أي ما يسمى الأيديولوجيا)، وبين المحادثات والإتفاقات السريّة التي يجريها الأطراف الثلاثة غالبا مع بعضهم الآخر(أي ما يمكن تسميته الجيو-ستراتيجيا).
ثانيا: بوساطة الإشارة إلى الإختلافات في التصورات والتوجهات إستنادا إلى المعطيات الجيو- ستراتيجية التي تعود إلى زمن معين ووقت معين.
ليكون الناتج في النهاية محصلة لوجهات النظر المتعارضة بين (الأيديولوجية) و(الجيو- ستراتيجية)، مع الأخذ بعين الإعتبار أنّ المحرّك الأساسي للأحداث يكمن في العامل (الجيو- ستراتيجي) وليس (الأيديولوجي) الذي يعتبر مجرّد وسيلة.



صورة غلاف الكتاب باللغة الانكليزية

وبعبارة أخرى إن د.تريتا بارزي يعتقد أنّ العلاقة بين المثلث الصهيو - أمريكي - الإيراني تقوم على المصالح والتنافس الإقليمي والجيو- ستراتيجي وليس على الأيديولوجيا والخطابات والشعارات التعبوية الحماسية.

وفي إطار المشهد الثلاثي لهذه الدول، نجد أن الصهاينة في نظرتهم إلى إيران يعتمدون على عقيدة (الطرف البعيد)، أي الذي يكون بعيدا عن المحور، فيما تعتمد إيران على المحافظة على قوّة معطيات (العصر السابق) والتأريخ، حين كانت الهيمنة لإيران تمتد لتطال الجيران القريبين منها.

وبين هذا وذاك يأتي دور اللاعب الأمريكي الذي يتلاعب بهذا المشهد ليصل إلى أهدافه الخاصّة والمتغيّرة على وفق الظروف المستجدة. وإستنادا إلى الكتاب، وعلى عكس التفكير السائد، الذي يتوهمه كثيرون، فإن الكيان الصهيوني و إيران ليسا في صراع أيديولوجي بقدر ما هونزاع قابل للحل و لو كان ستراتيجيا. و يشرح الكتاب هذه الفكرة ويكشف الكثير من التعاملات السّرية الإيرانية- الصهيونية، التي تجري خلف الكواليس، والتي لم يتم كشفها من قبل. كما يؤّكد الكتاب في سياقه التحليلي على أنّ أحداً من الطرفين (الصهاينة وإيران) لم يستخدم ولم يتخذ أي إجراءات عدوانية مثل خطاباته النارية، فالخطابات في واد والتصرفات في واد آخر تعاكس تماما كل ما هو معلن من تأزم .

وعلى وفق ما يعرضه د.تريتا بارزي، فإنّ إيران الدينية (الثيوقراطية) ليست خصما لا عقلانيا للولايات المتّحدة و الصهاينة، كما كان موقفها بالنسبة للعراق زمن صدّام وأفغانستان عندما كانت تحت سيطرة الطالبان. فطهران تعمد إلى تقليد (اللاعقلانيين) بوساطة الشعارات والخطابات الإستهلاكية، وذلك كأسلوب ديبلوماسي و وسيلة سياسية مظهرية. فهي تستخدم التصريحات الإستفزازية ولكنها لا تبني عليها مواقف، ولا تتصرف بأسلوب

متهور من شانه أن يزعزع نظامها. و ضمن هذا المنظور يمكن الإطمئنان إلى أن تحركات إيران لا تشكّل خطرا يتعذر إحتواؤه بوساطة الطرق الدبلوماسية التقليدية.

وإذا ما تجاوزنا القشور السطحية التي تظهر من المهاترات والتراشقات الإعلامية والدعائية بين إيران و المؤسسات الصهيونية، فإننا سنرى تشابها مثيرا بين الدولتين في العديد من المجالات بحيث أننا سنجد أنّ ما يجمعهما أكبر بكثير مما يفرقهما.

فكلتا الدولتين تميلان على تقديم أنفسهما على أنّهما متفوقتان على جيرانهما العرب. إذ يُجمع الرسميون الإيرانيون و أغلب الأفراد العاديين على أنّ جيرانهم العرب في الغرب والجنوب في مستوى دوني، و أقل منهم شأنا من الناحية الثقافية والتأريخية. ويعتبرون أن الوجود الفارسي على تخومهم ساعد على تحضّر العرب وتمدّنهم ولولاه لما كان للعرب شأن يذكر.

و في المقابل، يرى الصهاينة أنّهم متفوقون على العرب بدليل أنّهم إنتصروا عليهم في حروب كثيرة، و أحد المسؤولين في الكيان الصهيوني قال لـ (د.تريتا بارزي): إننا نعرف ما باستطاعة العرب فعله، وهو ليس بالشيء الكبير و لا المهم. و ذلك في إشارة إلى إستهزائه بقدرات العرب على فعل شيء حيال الكيان الصهيوني.

ويشير الكتاب إلى أننا إذا ما أمعنّا النظر في الوضع الجيو- سياسي الذي تعيشه كل من إيران و الكيان الصهيوني ضمن المحيط العربي، سنلاحظ أنهما يلتقيان أيضا في نظرية (لا حرب و لا سلام). فالصهاينة لا يستطيعون إجبار أنفسهم على عقد سلام دائم مع من يظنون أنهم أقل شأنا منهم ، ولا



تريتا بارزي

يريدون أيضا خوض حروب و إياهم، طالما أنّ الوضع القائم لصالح الكيان الصهيوني، لذلك فإن نظرية (لا حرب و لا سلام)، هي السائدة في المنظور الصهيوني. و في المقابل، فإن الإيرانيين قد سبقوا إلى التوصّل إلى هذا المفهوم نفسه، وإعتبروا أنّ (العرب يريدون النيل منّا).

وإستنادا إلى د.تريتا بارزي، فإن السلام بين الصهاينة والعرب يضرّ بمصالح إيران الستراتيجية في عمق الوطن العربي، ويبعد الأطراف العربية عنها ولاسيما سورية، مما يؤدي إلى عزل إيران ستراتيجيا. ليس هذا فقط، بل إنّ التوصل إلى تسوية سياسية في المنطقة سيؤدي إلى زيادة النفوذ الأمريكي والقوات العسكرية وهو أمرٌ لا تحبّذه طهران و لا ترغب فيه. ويؤكّد الكاتب في هذا السياق أنّ أحد أسباب إنسحاب الصهاينة من جنوب لبنان في العام ٢٠٠٠ هوأنهم أرادوا تقويض التأثير والفعالية الإيرانية في عملية السلام بتجريد حزب الله من شرعيته كمنظمة مقاومة بعد أن يكون الإنسحاب الصهيوني قد تمّ من لبنان.

ويكشف الكتاب من ضمن ما يكشف أيضا عن

وثائق ومعلومات موثقة وسرية جدا ، من ذلك أنّ المسؤولين الرسميين الإيرانيين قد وجدوا أنّ الفرصة الوحيدة لكسب الإدارة الأمريكية تكمن في تقديم أكبر مساعدة لأمريكا في غزو العراق عام ٢٠٠٣، بالإستجابة لما يحتاجه الأمريكان, مقابل ما ستطلبه إيران منهم، على أمل أن يؤدي ذلك إلى عقد صفقة متكاملة بموجبها تعود العلاقات الطبيعية بين البلدين وتنهي مخاوف الطرفين.

وبينما كان الأمريكيون يغزون العراق في نيسان من العام ٢٠٠٣, كانت إيران تعمل على إعداد (إقتراح) جريء ومتكامل يتضمن جميع المواضيع المهمة ليكون أساسا لعقد (صفقة كبيرة) مع الأمريكيين عند التفاوض عليه في حل النزاع الأمريكي-الإيراني. و تمّ إرسال العرض الإيراني والوثيقة السريّة إلى واشنطن.

وهذا الإقتراح الإيراني السرّي عرض مجموعة مثيرة من التنازلات السياسية ألتي ستقوم بها إيران في حال تمّت الموافقة على (الصفقة الكبرى) و قد تناول عددا من المواضيع منها: برنامجها النووي، و سياستها تجاه الكيان الصهيوني، ومحاربة القاعدة. كما عرضت وثيقة الإقتراح إنشاء ثلاث مجموعات عمل مشتركة أمريكية - إيرانية تعمل في أوان واحد للتفاوض على (خارطة طريق) بخصوص ثلاثة مواضيع هي:

أسلحة الدمار الشامل، و الإرهاب والأمن الإقليمي، و التعاون الإقتصادي.

و بالإستناد إلى ما جاء في هذا الكتاب لـ (د.تريتا بارزي)، فإنّ هذه الوثيقة المذكورة هي مجرّد ملخّص لعرض تفاوضي إيراني أكثر تفصيلا، كان قد جرى التقدم به في العام ٢٠٠٣، عن طريق وسيط سويسري يدعى (تيم غولدمان) نقله إلى وزارة الخارجية الأمريكية بعد تلقّيه من السفارة السويسرية في طهران أواخر نيسان و أوائل أيار من العام ٢٠٠٣.

و من الجدير بالذكر أن الوثيقة السريّة الإيرانية للأمريكان لعام ٢٠٠٣، والتي أجريت عليها تغييرات عديدة منذ ١١ أيلول ٢٠٠١ قد تضمنت ما يلي:

١- عرض إيران إستخدام نفوذها في العراق لـ (تحقيق الأمن والإستقرار، و إنشاء مؤسسات ديمقراطية، وحكومة غير دينية).

٢- عرض إيران (شفافية كاملة) لتوفير الإطمئنان والتأكيد بأنّها لا تطوّر أسلحة دمار شامل، والإلتزام بما تطلبه الوكالة الدولية للطاقة الذرية بشكل كامل وبدون قيود.

٣- عرض إيران إيقاف دعمها للمجموعات الفلسطينية المعارضة والضغط عليها لإيقاف عملياتها العنيفة ضدّ المدنيين الصهاينة داخل حدود الكيان الصهيوني لعام ١٩٦٧.

٤- إلتزام إيران بتحويل حزب الله اللبناني إلى حزب سياسي منخرط بشكل كامل في الإطار اللبناني.

٥- قبول إيران إعلان المبادرة العربية التي طرحت في قمّة بيروت عام ٢٠٠٢، وما يسمى (حل الدولتين) والتي تنص على إقامة دولتين والقبول بعلاقات طبيعية وسلام مع الصهاينة مقابل إنسحابهم إلى ما بعد حدود ١٩٦٧.

و المفاجأة الكبرى و المثيرة في هذا العرض الإيراني للأمريكان كانت تتمثل بإستعداد إيران تقديم إعترافها بالكيان الصهيوني كدولة شرعية !! و إقامة علاقات دبلوماسية معها. ولقد سبّب ذلك إحراجا كبيرا لجماعة المحافظين الجدد والصقور الذين كانوا يناورون على مسألة قيام إيران بتدمير الكيان الصهيوني، و محوه من الخريطة !



مثلما كانوا يرفعون شعار (الموت لإسرائيل). و في كتابه هذا فإن د.تريتا بارزي يؤكد على أنّ الإدارة الأمريكية المتمثلة بنائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني ووزير الدفاع آنذاك دونالد رامسفيلد كانا وراء تعطيل هذا الإقتراح ورفضه على إعتبار أن الإدارة الأمريكية ترفض التحدّث إلى (محور الشر)، بل أن هذه الإدارة قامت بتوبيخ الوسيط السويسري تيم غولدمان، الذي قام بنقل الرسالة الإيرانية للأمريكان المتضمنة تفاصيل العرض الإيراني المذكور أعلاه.

ويشير الكتاب أيضا إلى أنّ إيران حاولت مرّات عديدة التقرب من الولايات المتّحدة لكن الكيان الصهيوني كان دوما يعطّل هذه المساعي خوفا من أن تكون هذه العلاقة على حساب الصهاينة في المنطقة.

ومن المفارقات الغريبة و العجيبة التي يذكرها المؤلف د.تريتا بارزي أيضا، أنّ اللوبي الصهيوني في أمريكا كان من أوائل الذين نصحوا الإدارة الأمريكية في بداية الثمانينيات بأن لا تأخذ التصريحات والشعارات الإيرانية بعين الإعتبار لأنها ظاهرة صوتية لا تأثير لها بالسياسة الإيرانية.

و هذا غيض من فيض ما إستطاع د.تريتا بارزي تحقيقه و كشفه بصورة موثقة في كتابه البالغ الأهمية الذي عنونه(حلف الغادرين... التعاملات السرية بين الكيان الصهيوني وإيران و الولايات المتحدة الأمريكية)، إن هذا الكتاب ليس بحثا لواحد ممن يسميهم بعضهم بـ (النواصب)، أو يحلو له أن يتّهمهم بذلك، كما أن مؤلفه ليس عربيا من الذين يعتقدون بنظرية المؤامرة ضد العرب، ويؤمنون بوجودها في السياسة الغربية عامة و الأمريكية خاصة. إنه الكتاب الأكثر أهمية في موضوعه، من حيث ما تضمنه وطبيعة المعلومات المذكورة فيه، والأسرار التي يُكشف بعضها للمرة الأولى، و توقيت إصداره في سياق الأحداث المتسارعة في الوطن العربي، ووسط الأزمة النووية الإيرانية مع الولايات المتّحدة الأمريكية. حيث أن د.تريتا بارزي و بمقدرة فائقة على البحث الموثق، و بجدارة علمية عالية، تمكن بنجاح من كشف خفايا حلف غادر لأعداء في الظاهر.



عروبة فلسطين والوقف من صفقة القرن

بقلم :الدكتور محمد عبد القادر عطوات
استاذ جامعي

إن سكان فلسطين الأصليين هم الكنعانيون العرب، ثم حدثت هجرة النبي موسى عليه السلام – من مصر – ومعه عدد من أتباعه واستقروا في شرق فلسطين بمحاذاة الأردن، وبقي معظم سكان فلسطين عرباً حتى منتصف القرن العشرين تقريباً، وساهموا مع الأقطار العربية المجاورة في دحر الفرس والروم والعثمانيين.

وظهرت للصهاينة أطماع في استعمار فلسطين، وإقامة دولة صهيونية فيها، و هذه الخطة بدأت تظهر ملامحها في عهد الدولة العثمانية، التي كان لها موقف جميل - ممثلاً بالسلطان عبد الحميد – في رفض إغراءات الصهاينة وإتصالاتهم العديدة به لتقديم عروض مساعدات لدولته من جهة، وإنتزاع موافقته بالسماح لهم بأرض يسكنونها، مفضلين فلسطين أو سيناء. ولا يفوتنا التذكير بأن هذه الأطماع رُسِمَت في المؤتمر الصهيوني الذي عُقِد في مدينة بال في سويسرا في شهر آب عام ١٨٩٧م، وتمَّ يؤمئذٍ إنشاء «المنظمة الصهيونية العالمية» ، فبدأت عملها في البحث عن وطن قومي لليهود و كانت هناك عدة إقتراحاتً منها إقامة وطن لهم في ليبيا حيث أرسلوا بعثة إلى طبرق و لكنها وجدت فيها شحة في المياه، و لم تكن فيها موارد طبيعية تساعد على إقامة دولة، و كان هناك مشروع إقامة دولة في أوغندا و آخر في الإرجنتين، و نتيجة من توافق مصالح الصهيونية العالمية مع مصالح الدول الإستعمارية، تم التوافق على إختيار فلسطين لإقامة الكيان الصهيوني ليكون رأس حربة لإستعمار الوطن العربي، و تجزئة شرقه عن غربه بهذا الكيان المسخ.

و من الجدير بالذكر أن الحكم العثماني على بلاد الشام – ومنها فلسطين – قد إمتد زهاء أربعة قرون (١٥١٦-١٩١٨م)، ومع إنتهاء هذا الحكم وقعت فلسطين في قبضة الانتداب البريطاني (١٩١٨ -١٩٤٨م).

ومن المعروف أن بريطانية وفرنسة إتفقتا على تقطيع أوصال بلاد الشام وشمال إفريقية وتقسيمها بينهما، حيث إجتمع المفاوض الإنكليزي مارك سايكس والمفاوض الفرنسي جورج بيكو ووضعا بتاريخ ٢٦/أيار/١٩١٦م ما سُمِّي باتفاقية سايكس – بيكو الخاصة بتقسيم وطننا العربي وإستعماره، ولأهداف عديدة لدى هاتين الدولتين وغيرهما من بلاد الغرب – أهمها إيجاد قاعدة لهم في بلادنا تقرر بتر الصلة بين العرب في آسيا وإخوتهم في إفريقية، وإضعاف قوتهم والسيطرة على ثرواتهم – إستجابت بريطانية و فرنسا لرغبة اليهود الصهاينة بإقامة كيان لهم في فلسطين، المُميّزة بموقعها ومناخها وخيراتها وحضارتها وأهميتها الدينية، وقدّموا للصهاينة كل المساعدات اللازمة معنوية وسياسية ومادية وعسكرية وإجتماعية.

وبإتفاق قادة الرأي في بريطانية وأميركا على تحقيق الأماني الصهيونية فإن آرثر جيمس بلفور – وزير خارجية بريطانية – قد بعث رسالة إلى وولتر روتشيلد – زعيم بريطاني صهيوني – في ٢ تشرين الثاني عام ١٩١٧ يؤكّد فيها تعهّد بريطانية بإنشاء وطن قومي

لليهود في فلسطين. وهكذا فإن من لا يملك – وهي بريطانية – قد أعطى ممتلكات العرب لمن لا يستحق ، وأجاز سلفاً ما حل بهم لاحقاً من قتل وسجن وتشريد.

بعدئذٍ فتحت لليهود الصهاينة أبواب الهجرة إلى فلسطين وجرى تدريبهم عسكريا وتسليحهم، وإعدادهم للحرب لإقامة كيان الإحتلال و الإغتصاب في فلسطين.

عندئذٍ التهبت مشاعر الفلسطينيين، وقاموا بالمظاهرات والإضرابات والثورات المتلاحقة، غير أن القوى المعادية للعرب و في ظروف مشبوهة ومن دون سند قانوني في ميثاق الأمم المتحدة، إنتزعت قراراً ظالما من الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٤٧/١١/٢٩ يقضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين: يهودية وعربية، وإنهاء الإنتداب البريطاني في فلسطين في ١٥/أيار/١٩٤٨. و كان قرار تقسيم فلسطين أول قرار يصدر من هذا النوع ، فلم يسبق أن قامت الأمم المتحدة بتقسيم دولة من قبل، وقبل وبعد إنتهاء هذا الإنتداب وقعت معارك عديدة بين العرب واليهود، وإستطاع الصهاينة إعلان قيام الكيان الصهيوني الغاصب في ١٥/ أيار/١٩٤٨، وأسموه إسرائيل. بكذبة و بدعة أنه إمتداد لكيان إسرائيل المزعوم وجوده في حقبة تاريخية قديمة، ونتج عن قيام هذا الكيان الغاصب هدم مئات القرى العربية وتهجير نحو مليون فلسطيني خارج وطنهم. ولم تأبه دولة العدوان لقرارات الأمم المتحدة بعودة اللاجئين، بل أعادت الكرة في الإحتلال، حيث شنّت حرب عام ١٩٦٧ وإستولت على الضفة الغربية وقطاع غزّة وسيناء والجولان، وإعتمدت خطّة مازالت مستمرَّة في إغتصاب الأرض – أعني الممتلكات الخاصة – وهدم البيوت وإقتلاع الأشجار والمزروعات، وقتل وجرح المصلّين في القدس والحرم الإبراهيمي وجنين وغزّة وغيرها، زيادة على أسر الآلاف وتعذيبهم. وعقدت مؤتمرات واتفاقيات متنوعة وفاشلة أبرزها في أوسلو ومدريد، وتبخّرت آمال العرب في أن تحقق الأمم المتحدة حلاً عادلاً لقضية الشعب الفلسطيني...

واعتقد زعماء العدو الصهيوني أنه مع مضي السنوات يموت كبار السنّ من الفلسطينيين ويتساهل أبناؤهم بحقوقهم، إذا تسرّب اليأس إلى قلوبهم، ويعزفون عن تحرير فلسطين والاهتمام بالعودة..، ولكن ما حصل و يحصل لحد الآن هو العكس تماماً.

وفوجئ الأعداء بأن ما يفعلونه قد زاد في تصميم الآباء والأبناء والأحفاد من شعبنا العربي الفلسطيني على سلوك طريق الجهاد لا غير – وبالوسائل المتاحة – لتحرير فلسطين وانتزاع حقوقنا كاملة، ورسخت القناعة بأن ما أخذ بالقوة لن يُسْترد إلاّ بالقوة. وهنا أوغلت الصهيونية وأميركا – ممثلة برئيسها دونالد ترمب – وأعوانهما في إجراءات تتنافى مع حقوقنا العادلة، وحتى مع قرارات الأمم المتحدة بإعلان ما سميت صفقة القرن التي تقضي بيهودية الكيان الصهيوني، وأن القدس موحدة عاصمة لهذا الكيان الغاصب، ومنع عودة اللاجئين إلى مدنهم وقراهم وأراضيهم، وإنتزاع منطقة الغور، ومناطق المستعمرات الصهيونية، التي تمثل ٣٠٪ من أراضي الضفة الغربية وضمّها إلى دولة العدو، فضلاً عن ضمّ أراضي الجولان السورية إلى دولة العدو الصهيوني أيضا، والعمل على إلغاء منظمة الأونروا، ووقف المساعدات لمنظمة التحرير الفلسطينية. إن فلسطين عربية، وهي وطن الأجداد والآباء منذ أقدم العصور وحتى عصرنا الحاضر، ولن يكون هناك أمن ولا سلام إلاّ بعد تحرير العرب لها، وصدق الشاعر الكبير محمود سليم الحوت في قوله:

ما السِّلم.. ما الأمنُ، والأعداءُ في وطني

أنا طريدٌ وهم سكّان جَنَّته

لا لن نرى السِّلم إلاَّ بعد عودتنا

مع الدَّمار المغَنِّي لحنَ نقمته

والحربُ أشرفُ من سِلْم لمن قلعوا

واستأصلوا جذره من مسكِ تربته

تلك التي قال عنها إنهـا خُلِقت

لكي تعيش.. ويبقى مدُّ صولتـه

وشعب فلسطين المناضل، شعبُ الجبَّارين يرفض التنازل عن حقوقه، ويرفض صفقة ترمب، حيث لا يحق له أن يتكرم بأرضنا إلى أصدقائه الصهاينة، ونسأل: لماذا لا يتكرم لهم بأرض من بلاده؟! وشعبنا الأصيل لن يبيع وطنهً بكل أموال الدنيا، وهو مصمِّمٌ على النضال بكل وسيلة، ويؤمن بأنه بالجهاد، لا غير، سيحرِّر فلسطين ويحقق آماله المنشودة طال الزمن أم قصر. نحن لم نكن مستأجرين لبيوتٍ وأرض في فلسطين ونرضى ببدل إخلاء كما يحلم ترمب وأتباعه، ففلسطين وطننا منذ قرون، ولن نرضى بديلاً عنها. والواقع أننا مظلومون «وعلى حق»، ولكننا متفرّقون فمهزومون، والأعداء ظالمون، وأقوى منّا «وعلى باطل»، ولكنهم موحَّدون فمنتصرون، وعلينا أن نستنتج العِبَر...

وإذا كانت دولة العدوان تجمع يهود العالم الذين لا صلة لهم بفلسطين ليمتلكوا أرضنا ويتنكروا لأهل فلسطين الأصليين الشرعيين فإننا نؤمن بأن كل فلسطين المحتلّة عربية ، ولا بُدَّ للعرب أن يوحِّدوا صفوفهم، ويعدُّوا العدَّة ويقاتلوا هذا العدو ويحرّروا هذا الوطن المغتصب، بعونٍ الله. أجل، إن صفقة القرن لم تقدِّم حلاً عادلاً لأيٍّ من المشاكل الجوهرية في القضية الفلسطينية، ولن تنهي الصراع بين العرب والصهاينة، ولكنها ستلحق أضراراً بليغة بالفلسطينيين ثم بالعرب أجمعين. وبدل أن يُعاقب ترمب وأعوانه الطرف الظالم – دولة العدوان – ويلزمه على الأقل بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة، نراه يتَّخذ موقفاً غريباً عجيباً مستنكَراً، فيدعم الظالم آملاً ترسيخ الظلم، وهو بذلك يخالف الشرائع السماوية، وقرارات الأمم المتحدة وقوانين مختلف دول العالم، وعلى أيّة حال فإن تحقيق أماني العرب في فلسطين لن يحقّقها إلاّ العرب...

ويجدر بالعرب ألاّ يكونوا أقل من الفلسطينيين حرصاً على فلسطين والقدس، وبذلاً للغالي والرخيص من أجل تحريرها، وإنسجاماً مع كلام الله في القرآن الكريم فإنه لا يحق لأيٍّ قطرعربي أن يمالئ دولة العدوان وأعوانها، حيث قال تعالى :

«إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدِّين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تَوَلّوهم، ومن يتولّهم فأولئك هم الظالمون»، (الممتحنة، الآية ٩).

ولو اقتدينا بالسلف الصالح عملياً – ومنهم القائد البطل صلاح الدين الأيوبي – لما بقيت دولة العدوان إلى هذا الزمان. ومن الخطوات الأولى الواجب تنفيذها:

إلغاء اتفاقيات أوسلو ومدريد، وإلغاء الاعتراف بما يُسَمَّى إسرائيل، ووقف أيّ تطبيع مع هذا العدو، الذي يحتلّ أرضنا وينكّل بشعبنا، ومقاطعة البضائع الصهيونية والأميركية، وإعادة اللحمة إلى صفوف الفصائل الفلسطينية، ووحدة الصف العربي، ووضع خطّة منهجية لمسيرتنا النضالية، تواكبها خطّة عربية لإعداد العدَّة لتحرير فلسطين.

والعرب لا ينقصهم الرجال ولا السلاح، ولا المال، ولكن المشكلة تتلخَّص في ضرورة توافر الإيمان والإخلاص والوحدة والتضحية. وإرادة الشعوب تحقق المستحيل بإذن الله...

ويؤكّد الشاعر البارع أبو القاسم الشابّي إيمانه بإرادة الشعوب ونضالها من أجل الحرية بقوله:

ولا بُدَّ للّيل أن ينجلـي

ولا بُدَّ للقيد أن ينكسر



صفقة لإغتيال قضية

كتابة: الأستاذ يوسف الورداني
كاتب - لبنان

الرئيس الأميركي ترامب وإلى جانبه رئيس وزراء العدو الصهيوني نتن ياهو قبل أن يعلنا خطة ما عرف بصفقة القرن، كرؤية أميركية لمشروع التسوية لما يسمى بأزمة الشرق الأوسط، وهو التعريف الأميركي للصراع العربي-الصهيوني، كانت المقدمات تفصح عن مضمون هذه الصفقة، والتي تنطوي على الإعتراف بالقدس عاصمة أبدية للكيان الصهيوني، وبإسقاط حق العودة وضم الكتل الإستيطانية إلى كيانٍ الإغتصاب وإعطاء الفلسطينيين حكماً ذاتياً يفتقر لأبسط مقومات الحياة.

إن صفقة القرن التي إعتبرها الرئيس الأميركي ترامب «فرصة ثمينة» و دعا الفلسطينين لإلتقاطها هي رؤية صهيونية، تقدم عبر الإدارة الأميركية وهي لا تختلف بتفاصيلها عن المشاريع الصهيونية التي طرحها إيغال آلون منذ خمسةٍ عقود، حيث عرض على الفلسطينين حكماً ذاتياً منزوع السلاح لإدارة شؤونهم بدون أن يمارسوا حق السيادة، و على أن يبقى الحكم الذاتي تحت الوصاية الصهيونية الإقتصادية والأمنية.

وصفقة القرن هذه ليست طلقة شاردة في عتمة ليل، بل كانت نتاج مسار عربي إنهزامي بدأ بصفقة فصل القوات في الجولان عام ١٩٧٣، ثم إتفاقية كامب دايفيد، وما إستولدت من إتفاقيات الذل والهوان، ومن مؤتمر مدريد وأوسلو ووادي عربة، إلى إحتلال العراق وإسقاط نظامه الوطني، إلى «الربيع العربي» الذي دمر دول الطوق (دول المواجهة) وإخراج جيوشها من الفعل المقاوم وصولاً إلى مؤتمر وارسو ولقاء البحرين.

و اليوم قد إتضح لنا أن إحتلال العراق وإغتيال رموزه الوطنية، قد أدى إلى إنكشاف الأمة العربية أمام المشاريع المهددة للأمن القومي العربي، وفرصة لتقدم المشروع الفارسي ليشكل رديفاً مكملاً للمشروع الصهيوني، جراء تغول الدولة الإيرانية على الواقع العربي والعمل على تفكيك البنى العقيدية و الفكرية للمجتمعات العربية بإعتماد الخطاب الطائفي والمذهبي، الذي تتولى القيام به قوى مارست كل أشكال التخريب والتدمير في بعض الأقطار العربية، حيث تبين أن هذه القوى هي منتج صهيو- أميركي- فارسي بعنوانيه الداعشي والحشدي، وكل من تقبله و تماشى معه من تشكيلات ميلشياوية وطائفية و عنصرية تعمل بتوجيه من مراكز قرار أجنبية وفي المقدمة منها طهران.

وما دعا الرئيس الأميركي ترامب إلى الإعلان عن صفقة القرن أنه كسابقيه رونالد ريغان وجورج بوش الأبن، يحمل جميعهم أفكار اليمين المسيحي المتطرف، ويؤمنون بخرافات وأضاليل الصهاينة ويربطون أحداثاً تاريخية بالواقع المعاش للدلالة على تطرفهم وحقدهم.

وإبان حملته الانتخابية أعلن ترامب عن عزمه على نقل السفارة الأميركية إلى القدس إقراراً بتكريسها عاصمة لدولة الكيان الصهيوني، لكنه دخل البيت الأبيض وإنتظر حتى ٦-كانون الأول-٢٠١٧ ليعلن وعده

بكشف مضامين صفقة القرن بتاريخ لاحق وهذا ماحدث في ٢٨كانون الثاني ٢٠٢٠ وماقام بتنفيذه؛ ذلك أن القوات البريطانية بقيادة الجنرال اللنبي، دخلت مدينة القدس يوم ٦-كانون الأول-١٩١٧، ويومها قال اللنبي: اليوم تنتهي الحروب الصليبية، بمعنى أن ترامب أكد ما سبق أن قاله اللنبي فقرر نقل السفارة في الذكرى المئوية لإحتلال القدس.

و عندنا إن الصراع مع العدو الصهيوني هو صراع تحكمه قواعد الصراع الوجودي، بحيث لا تستقيم الحياة لأحدهما، إلا بنفي الطرف الآخر، وإستناداً إلى طبيعة هذا الصراع فإن المشروع الأميركي-الصهيوني لا يستهدف فلسطين وحدها وإنما الأمة العربية بكل مخزونها الحضاري ومشروعها النهضوي،

وهذا ما يجعل من الكيان الصهيوني كيان وظيفة، في سياق تنفيذ المشروع الإمبريالي، الذي تولت الإدارة الأميركية قيادته الإستراتيجية بعد الحرب العالمية الثانية، وعليه أقدمت على طرح مشروعها للحل تحت عنوان صفقة القرن، عنواناً سياسياً لتصفية القضية الفلسطينية وإستدراج بعض الأنظمة العربية إلى التطبيع مع العدو الصهيوني بالترغيب أو بترهيبها بالغول الإيراني وأطماعه التوسعية.

و نحن قد أدركنا منذ البداية أن إغتصاب فلسطين كان من أجل الحيلولة و قيام الوحدة العربية، التي تشكل الخطر الرئيس على مصالح قوى الإستعمار قديمها وحديثها كما نصت على ذلك مقررات كامبل باترمان، والإتفاقيات التي أعقبته من سايكس بيكو إلى وعد بلفور، لذلك نحن لا نفرق بين حليفين أزليين: الرأسمالية والصهيونية، فإذا ضعف أحدهما سيضعف الطرف الآخر، وعليه فإن إحباط مشاريع هذه القوى المعادية لنا، يقتضي مواجهتها بعمل عربي مشترك مع كل قوى التحرر العربية والعالمية أيضا ، لأن الرأسمالية و الصهيونية وكذلك الشعوبية الفارسية أعداء الإنسانية جمعاء، لذا نرى يجب أن يكون تحرير فلسطين هو المنطلق على وفق المسلمات التالية:

١-المبادرة فوراً إلى إتفاق الفصائل الفلسطينية على برنامج مقاوم من أجل التحرير، حيث تتوحد فيه كل قوى الثورة وتكون هذه القوى المرجعية التي تقدم نفسها لجماهير فلسطين والأمة العربية بإعتبارها قيادة وطنية حاضنة للطموح الفلسطيني و العربي للتحرير الكامل لكل فلسطين من الإغتصاب الصهيوني.

٢-إعلان موقف فلسطيني و عربي رافض لكل مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية على حساب الحقوق العربية، والتأكيد على الثوابت التي أقرها المجلس الوطني، وإعتبار إتفاق أوسلو ساقطاً و ملغياً هو و ما نتج عنه، والتخلي عن التنسيق كلية مع حكومة العدو في المجالات كافة.

٣-التحرك باتجاه المجتمع الدولي، وخاصة تلك المواقع التي تقاوم سياسة الهيمنة الأميركية للتأكيد على تنفيذ القرارات الدولية ذات الصلة ومنها حق العودة، وإدانة الجدار العازل وإنتهاك حقوق الإنسان.

٤- يفترض أن يبقى الموقف العربي الرسمي و الشعبي محوراً داعماً ومشاركاً في مواجهة صفقة القرن، ويبقى المهماز الحقيقي الذي يحث المتلكئين و يفضح المتواطئين على القضية الفلسطينية. أما قاعدة الهرم التي يمكنها أن تستقطب مشاركة وتأييد الجميع فهي الشعب الفلسطيني المقاوم، وأن تدرك الفصائل الفلسطينية أن وحدة الصف والهدف تشكل القاعدة الأساس من أجل التحرير الكامل وعلى الجميع الإنضواء تحت سقف منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني. وفي هذا الظرف الحساس الذي تمر به الأمة العربية التي تتهددها المخاطر من الداخل والخارج، ندعوا القوى التي تدعي حرصها على الأمة، أن تغادر رمادية المواقف إلى منطقة الوضوح بين من يعتبر أن قضية فلسطين هي قضيته ولأجلها يناضل ويضحي، وبين من يعمل للإستثمار السياسي خدمة لمخططاته و مصالحه الخاصة.



صفقة القرن .. هيمنة جديدة تحت عنوان "السلام"

كتابة: د.وائل نجم
كاتب وباحث - لبنان

قبل حوالي العامين كشف الرئيس الأمريكي، دونالد ترمب، عن عزمه على طرح مشروع لما سمّاه «السلام» في المنطقة العربية، وهو ما إصطلح على تسميته «صفقة القرن». وبعد تأجيل مرّات عدة، وفي الثامن والعشرين من شهر كانون الثاني المنصرم، و بحضور رئيس وزراء الكيان الصهيوني، نتن ياهو، وشخصيات أخرى بينها سفراء دول عربية، أعلن ترمب خطته لهذا «السلام» المزعوم، أو بالأحرى هذه الشروط و الإملاءات، لأنها ليست صفقة لعدم تواجد طرف آخر، بل هي تشبه تماماً وعد بلفور البريطاني لليهود في بداية القرن العشرين، حيث هو الذي لايملك أعطى ذاك الوعد لمن لا يستحق له.

وبالعودة إلى هذه الصفقة المعلنة، إذا أردنا أن نسمّيها «صفقة القرن»، وعلى وفق ما أعلنه صاحبها (ترمب) فقد تضمّنت عدة بنود وفقرات ملخّصها إعتراف أمريكي بسيادة الإحتلال الصهيوني على مستوطنات الضفة الغربية في فلسطين المحتلة، و ترسيم حدود الدولة الفلسطينية والكيان الصهيوني بما لا يمنح أية سيادة للدولة الفلسطينية، بل جعلت «الصفقة» حدود هذه الدولة الفلسطينية مطوّقة بشكل كامل من قبل الكيان الصهيوني، وترتبط بهذا الكيان بوساطة شبكة طرق ومواصلات خاضعة بالكامل للإحتلال. كما تضمّنت بنود الصفقة أن تكون الدولة الفلسطينية منزوعة السلاح، وأن تكون لها عاصمة في أطراف مدينة القدس (أبو ديس) وليس القدس الشرقية، على أن تبقى القدس موحّدة وعاصمة لكيان الإحتلال. وأن يتم إلحاق الفلسطينيين بالدولة الفلسطينية الجديدة من الذين ما زالوا يتواجدون في الأراضي التي أغتصبت عام ١٩٤٨، بما يعني الإعتراف بيهودية «الكيان الصهيوني». وكذلك الإعتراف بأن هذا الكيان هو دولة لكل يهود العالم. كما وأن هناك بنودا تتحدث عن نزع سلاح المقاومة الفلسطينية في غزة، وملاحقة المقاومين في حال لم يوافقوا على هذه «الصفقة»، وفي المقابل تعرض الصفقة بناء معامل ومصانع في المناطق الخاضعة للسيطرة الصهيونية في النقب من أجل تأمين فرص عمل للفلسطينيين غير المقيمين في الكيان الصهيوني. كما نصت «الصفقة» على إسقاط حق العودة للاجئين الفلسطينيين المتواجدين في دول الجوار، أو في غيرها، ودعت الصفقة إلى فرض توطين جزء منهم في أماكن تواجدهم، في مقابل تعهد من قبل دول داعمة لهذه «الصفقة» بدفع مليارات الدولارات للحكومات التي تستقبل اللاجئين وتوطّنهم في أراضيها. وفي مختصر مفيد نقول: هذه الصفقة هي خطة ومشروع لتصفية القضية الفلسطينية و هي القضية المركزية الأولى للأمة العربية و الشعوب الإسلامية وللشعب الفلسطيني، وجعل السيادة في فلسطين، والقرار الأول والأخير في المنطقة للإحتلال الصهيوني. وبالطبع فإن هذه «الصفقة» قد رُفضت من الشعب الفلسطيني حكومة وسلطة ومقاومة وفصائل وشعبا. فالجميع أعلن رفضه لها، وعدم قبوله بها، والجميع يخوض الآن معركة إسقاطها وإفشال أية خطة أو مخطط لتصفية القضية والعمل على إنتزاع الحقوق الفلسطينية كاملة.

وطيلة حوالي سبعين عاماً كلنا نعلم أن إرادة الإحتلال الصهيوني وكل القوى التي تقف خلفه عجزت عن تصفية القضية الفلسطينية، أو تصفية الحقّ الفلسطيني، بل على العكس من ذلك تماماً، ما حدث في العقد الأخير، إذ شعر هذا الكيان المصطنع أنّه بدأ يواجه تحدّيات وجودية بسبب تنامي حالة الرفض له، و إزدياد قدرة وإمكانية المقاومة الفلسطينية، و ظهور الزيادة لسكان فلسطين في المناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨، ولذلك كان لا بدّ من إيجاد وسائل جديدة تضمن إستمرارية الهيمنة على فلسطين، وكمشروع للهيمنة أيضاً على الجوار وعلى الوطن العربي كله بشكل عام.

إن المعلن من مشروع «صفقة القرن» الأمريكية في خطاب ترمب هو ما ذكرناه آنفاً، إلاّ أنّ ذلك ليس سوى رأس جبل الجليد المختفي تحت الماء. فالأهداف الأمريكية والصهيونية من هذه «الصفقة» لا تقف عند حدود تصفية القضية الفلسطينية فحسب، بل تمتد فيما هو أكبر وأعمق من ذلك. فالقضية الفلسطينية تمثّل رأس الحربة في مواجهة كل مشاريع الهيمنة والإستحواذ على مقدرات الوطن العربي، لذا فإنّ المخفي من «الصفقة» والذي يمكن إستنتاجه وإكتشافه من السياسة المعلنة لأمريكا و الصهاينة يجعلنا نعتقد أن الأهداف الخفية هي أكبر و أخطر بكثير مما جرى إعلانه لحد الآن.

فالولايات المتحدة الأمريكية تدرك أن النموذج الذي صنعته إتفاقية (سايكس - بيكو) بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى، والذي كرّس الهيمنة الفرنسية على لبنان وسورية، في مقابل هيمنة بريطانية على فلسطين والأردن والعراق فيما عُرف بدول الإنتداب. وأنتج دولاً قطرية وأنظمة مستبدة حكمت المنطقة، وما زال بعضها يحكم حتى الآن، نقول أن أمريكا ترى أن ذاك النموذج لم يعد ينفع أو يجدي، في مواجهة تحوّلات عميقة وكبيرة حصلت في الوطن العربي في العقود الأخيرة، و بات من اللازم أن يتمّ ضمان الهيمنة بطرق أخرى في ضوء هبّة الشعوب العربية والإسلامية، التي أدركت حجم الظلم اللاحق بها، والنهب لخيراتها وثرواتها، والإستهداف لتراثها ومقدساتها، ولذلك جرى التوجّه الصهيو - أمريكي نحو إنتاج نظام إقليمي جديد يضمن الهيمنة، ويكرّس «كيان الإحتلال الصهيوني» كقوة رئيسية في الوطن العربي خاصة و المنطقة عامة.

إنّ ما يعني الولايات المتحدة الأمريكية اليوم هو ضمان السيطرة على الوطن العربي و ثرواته، و مواجهة تنامي وتعاظم قدرة وقوة دول أخرى منافسة لها كالصين وروسيا على سبيل المثال، لذا تسعى الولايات المتحدة إلى تأمين السيطرة على الوطن العربي لإعتبارات أساسية لها تأثير بموازين القوى العالمية، وهي : النفط والغاز، والممرات البحرية، و جعل الكيان الصهيوني قاعدة عسكرية متقدمة لها، ولذلك هي تعمل على الإستحواذ على هذه العناصر، وترفض لأي جهة أخرى أن تنافسها في ذلك، كما ترفض لأية قوة محلية أو إقليمية أو دولية التأثير بها أو مشاركتها في الهيمنة عليها، لأنّ الولايات المتحدة تعتبر أنّ من يسيطر على هذه العناصر الثلاثة يمكنه أن يفرض السيطرة على العالم، وبذلك تضمن الولايات المتحدة لنفسها ما يُسمّى بـ «الآحادية القطبية».

إنّ مشروع «صفقة القرن» هو عبارة عن خطة لتفتيت الوطن العربي إلى كيانات طائفية أو مذهبية أو عرقية صغيرة، متنافسة ومتصارعة فيما بينها، لصالح أن يكون «الكيان الصهيوني» هو الأقوى بينها، والمتفوق عليها، وأن يظل الجميع بحاجة ماسة للولايات المتحدة و هكذا تضمن السيطرة الدائمة والمستمرة.

إن مشروع وخطة «صفقة القرن» ليس إلاّ مشروعا إستعماريا جديدا لضمان السيطرة والهيمنة على الوطن العربي، ولكن هذه المرّة تحت عنوان «السلام» الذي لا يعني سوى الإنقياد للإرادة الأمريكية المتصهينة والإستسلام لها.



هجرة العقول والأدمغة العربية

كتابة: حسن العطار

«هجرة العقول أو هجرة الادمغة» هو مصطلح يطلق على هجرة العلماء والمتخصصين في مختلف فروع العلم من بلد إلى آخر طلبا لرواتب أعلى أو التماسا لأحوال معيشية أو فكرية أفضل، وعادة ما تكون هجرة العقول من البلدان النامية إلى البلدان المتقدمة. وقد قامت الجمعية الملكية البريطانية بابتداع مصطلح «هجرة الأدمغة» لوصف هجرة العلماء من المملكة المتحدة وكندا في خمسينيات وستينيات القرن العشرين الميلادي.

و بدأت ظاهرة هجرة العقول العربية بشكل محدد منذ القرن التاسع عشر الميلادي، وخاصة من سورية ولبنان وفلسطين ومصر والجزائر، وفي بداية القرن العشرين إزدادت هذه الهجرة بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية. ويعد الوطن العربي أكثر منطقة يضطر علماؤها وكفاءاتها إلى الهجرة وهم من المهندسين والأطباء وعلماء الذرة والفضاء، حيث أن أكبر نسبة مهاجرين للأدمغة في العالم من سكان الوطن العربي.

وقد أظهرت بعض الدراسات التي قامت بها جامعة الدول العربية ومنظمة اليونيسكو والبنك الدولي، أن الوطن العربي يساهم في ثلث هِجرة الكفاءات من البلدان النامية، وأن ٥٠٪ من الأطباء، و٢٣٪ من المهندسين، و١٥٪ من مجموع الكفاءات العربية المتخرجة يهاجرون متوجهين إلى أوروبا والولايات المتحِدة وكندا، مما تسبب هجرتهم هذه تبعات سلبية على مستقبل التنمية العربية. وذكرت بعض التقارير أن ٥٤٪ من الطلاب العرب، الذين يدرسون في الخارج، لا يعودون إلى بلدانهم، ويُشكل الأطباء العرب في بريطانيا ٣٤٪ من مجموع الأطباء فيها، و هجرة العقول العربية إلى الخارج تتزايد في ثلاث دول تحديدا، هي: الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا، وأن كلفة ما تنفقه الدول العربية لتخريج هذه الكفاءات تقدر بحوالي ملياري دولار سنويا.

وهذه الأرقام المخيفة تدعم الفكرة التي تؤكد أن الدول العربية أصبحت بيئات طاردة للكفاءات العلمية العربية وليست حاضنة أو جاذبة لها، حيث يتساءل الكثيرون عن الأسباب التي تقف وراء هذه الظاهرة الخطرة. وهنا يحضرني – منذ سنوات - جواب الدكتور «حميد الريمي» نائب عميد كلية علوم وهندسة الحاسوب بجامعة الحديدة، حيث يقول:

(ترجع أسباب هجرة العقول العلمية العربية إلى ضعف أو إنعدام القدرة على إستيعاب أصحاب الكفاءات الذين يجدون أنفسهم إما عاطلين عن العمل، وإما لا يجدون عملا يناسب إختصاصهم في بلدانهم، وضعف المردود المادي لأصحاب الكفاءات وإنعدام التوازن في النظام التعليمي. زيادة على عدم الإستقرار السياسي والإجتماعي، والمشكلات التي تعتري

التجارب الديمقراطية العربية التي تؤدي في كثير من الأحيان إلى شعور أكثر أصحاب الكفاءات والخبرات بالغربة في أوطانهم، مما يضطرهم هذا الواقع إلى الهجرة سعيا وراء ظروف أكثر حرية وأكثر إستقرارا).

و الآثار السلبية لهجرة العقول والكفاءات العربية إلى الغرب تبرز في جانبين، الأول:

عدم إستفادة دولهم الأصلية من مهارتهم الفكرية والمعرفية وهو ما ينعكس سلبا على شتى المجالات الإقتصادية والسياسية والإجتماعية، حيث تتسبب هجرة الكفاءات في ضياع جهودها الإنتاجية والعلمية وتقديم فائدتها إلى الدول التي تستقبلهم، في الوقت الذي تحتاج فيه التنمية العربية إلى مثل هذه العقول، التي هي عادة ما تكون أفضل العناصر القادرة على الإنتاج الفكري والعلمي، وعلى الإختراع والإبتكار داخل الوطن العربي.

أما الجانب الثاني: فهو التكلفة المالية التي يتكبدها الوطن العربي في تأهيل وتعليم هؤلاء المهاجرين و في النهاية يجدون أنفسهم مضطرين للهجرة. و في المقابل تكسب الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا وبعض دول أوروبا الغربية الملايين من الدولارات نتيجة لهجرة هذه العقول والكفاءات العربية إليها، فإن هذه العقول والكفاءات لم تكلف هذه الدول المضيفة شيئا في تنشئتها وتدريبها.

إن خير من لخص هذه الظاهرة الخطيرة هو المفكر والكاتب «نايف كريم»، بقوله: «ليس الدم وحده هو الذي ينزف في الوطن العربي، بل إننا نعاني نزيفا أعمق وأخطر وأشد إيلاما، إنه نزيف الأدمغة. ومكمن الخطورة في هذا النزيف القاتل أنه يتم بهدوء من دون ضجيج كالذي يثيره نزيف الدماء مع أن آثاره أشد وطأة على مستقبل الوطن



العربي، و أضراره تصيب كل مواطن عربي ولعدة أجيال قادمة.

هذا و يعتبر الرأسمال البشري من أهم الثروات الطبيعية لأي بلد، والبلدان التي تطورت سياسيا وإقتصاديا وعلميا وإجتماعيا (أي تفوقت حضاريا على الآخرين)، هي البلدان التي نجحت في إستثمار مواردها البشرية، وإستقطبت الكفاءات البشرية من دول العالم الأخرى. بينما فشلت الثروات الطبيعية الأخرى كالنفط والغاز في كثير من البلدان، التي من ضمنها البلدان العربية، في تحويل البشر إلى قوة منتجة إذ لم يتم إستغلالها وتأهيلها من أجل ذلك الهدف.

لذا يجدر بأنظمة الحكم العربية أن تحتذي بتجربة «الحكومة الهندية» التي إستطاعت أن تجذب الكثير من العقول الهندية المهاجرة بعد أن هيأت لها المناخ العلمي المناسب، وإستطاعت أن تحقق دخلا سنويا يزيد على ١٢ مليار دولار أمريكي من البرمجيات فقط.

و الخلاصة: يركز الجامعيون العرب المهاجرون على العوامل السياسية كأهم عامل طارد للعقول، حيث يقولون إن قمع الأنظمة السياسية الحاكمة وكراهيتها لأصحاب العلم والمعرفة يدفعها لإتخاذ إجراءات قمعية ضد العلماء والمفكرين والجامعيين والمثقفين، من أجل طردهم بحجة الهجرة الطوعية.

من روائع الشعر العربي

قسما بالنازلات

للشاعر مفدي زكريا



قسما بالنازلات الماحقات
و الدماء الزاكيات الطاهرات
و البنود اللامعات الخافقات
في الجبال الشامخات الشاهقات
نحن ثرنا فحياة أو ممات
و عقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا... فاشهدوا... فاشهدوا...
نحن جند في سبيل الحق ثرنا
و إلى استقلالنا بالحرب قمنا
لم يكن يصغى لنا لما نطقنا
فاتخذنا رنة البارود وزنا
و عزفنا نغمة الرشاش لحنا
وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا... فاشهدوا... فاشهدوا...
يا فرنسا قد مضى وقت العتاب
و طويناه كما يطوى الكتاب
يا فرنسا إن ذا يوم الحساب
فاستعدي وخذي منا الجواب

ان في ثورتنا فصل الخطاب
و عقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا... فاشهدوا... فاشهدوا...
نحن من أبطالنا ندفع جندا
و على أشلائنا نصنع مجدا
و على أرواحنا نصعد خلدا
وعلى هاماتنا نرفع بندا
جبهة التحرير أعطيناك عهدا
و عقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا... فاشهدوا... فاشهدوا...
صرخة الأوطان من ساح الفدا
فاسمعوها واستجيبوا للندا
و اكتبوها بدماء الشهدا
واقرأوها لبني الجيل غدا
قد مددنا لك يا مجد يدا
و عقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا... فاشهدوا... فاشهدوا



الشعر في العصر العباسي الاول (١)

د. فالح نصيف الكيلاني
كاتب من العراق

الشعر من أوائل الأمور التي تتأثر بأمور الحياة اليومية، وما يكتنفها من تفاعلات وأحداث وما يجري عليها ما يغير مسارها ومنهجيتها سلبا أو إيجابا تبعا للأحداث، وذلك لأن الشعراء هم أعلى طبقة في أحاسيسهم وإنفعالاتهم النفسية والقلبية والفكرية، فمشاعرهم عالية سامية رقيقة لديهم، تنبثق مما يشعرون به من تعاملهم مع الحياة ومع الآخرين والطبيعة، ومع كل ما يدور بخلدهم ولما كانت الحياة في هذا العصر قد تطورت كثيرا، فلا غرو أن الشعر تطور بتطورها أيضا، فقد تطور تطورا واسعا تبعا لتطور الحياة ومنافذها وإتجاهاتها. والشعر يدخل من كل المنافذ ويخرج بإتجاهات شتى، ويسمو في كل الإتجاهات، وكأنه شذى عطر عبق في مهب نسيم عليل . فقد إتسعت آفاق وأخيلة الشعراء، وهم أخصب الناس خيالا، فإزداد الخصب الشعري وتفتقت الأخيلة وإتسعت الفنون الشعرية والأغراض المختلفة فيه في كل مدارج الحياة، فظهرت أغراض وفنون جديدة لم تكن موجودة في العصر الأموي وما قبله، فنشأت هذه المستجدات تبعا للتطور الفكري والحضاري، فكانت هذه الشاعرية متأتية من التداخل والتزاوج بين الثقافات العربية وغير العربية، و من أجناس أقوام المجتمع العباسي،

نعم لقد تطور الشعر بتطور الحياة، وبهذا تطورت معانيه ثم تصرف الشعراء بمعاني وأساليب الشعراء قبلهم، وحللوها ووسعوا دائرتها وزادوا عليها أو أنقصوا منها تبعا لكل ظروف مجتمعهم و حاجته في تماشي حياتهم الجديدة، وأسلوبية المجتمع الإنساني فيها، فتطور التصوير الشعري وكثر الإبداع فيه، فوجد التشبيه وصوره المختلفة، وكثرت المحسنات اللفظية، ورقت المعاني ودقت، وإستعملت ألفاظ جديدة أرق وأسهل مما كانت عليه من قبل في العصور المختلفة،

وقد تم إستبدال الألفاظ البدوية والصحراوية بغيرها كما إستعملت بعض الكلمات غير العربية (الأعجمية) في الشعر تبعا لهوى الشاعر وأصله إن كان عربيا قحا أو من الموالي، وأحسنوا إستعمالاتها وصياغتها وربط الجمل العربية بها وأصبحت تسمى ألفاظا معربة.

وإستعمل الشعراء المحسنات البلاغية والبديعية من طباق وجناس وتشبيه وإستعارات، وكثرت هذه بشكل ملفت للنظر في هذا العصر، وبالإجمال فإن الشعر في هذا العصر تطور تطورا واسعا وعظيما في جميع أموره، وفي شتى المجالا ت الأدبية والشعرية واللغوية والفنية.

ان الشعر العربي في هذا العصر نتيجة من تطوره الواسع وآفاقه المتسعة، تأثر بكل التيارات والأحوال السياسية والإجتماعية والإقتصادية، و عكس كل ما تراءى له من



أمور، هذا زيادة على تطور ثقافة الشاعر نفسه .

ولعب الشعر دورا إعلاميا تحريضياً، حيث ساهم في سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، فكان له أبلغ الاثر في الناحية الثقافية والأدبية، و قد إستغل بعض الشعراء ما قيل و أشيع من أن الامويين إتبعوا سياسة التعصب للعنصر العربي، الذي إعتبروه هو النسغ الصاعد أو الناقل الحياة إلى جسم الدولة المترامية الأطراف، فألب بعض الشعراء الفئات غير العربية التي أصبحت ضمن الدولة الإسلامية، كما أن بعض العرب أنفسهم صاروا أعداء الأمويين مثل العباسيين ومنهم العلويين خاصة، و قد وضعوا أيديهم بأيدي هذه الفئات غير العربية، وتحالفوا معها على إضعاف الهيمنة العربية على مرافق الدولة الأموية ومن ثم إسقاطها، ومن أكبر هذه التحالفات – الفرس مع العباسيين- حيث أخذ الفرس يعملون على رد إعتبار سلطة الدولة الفارسية، فإتخذوا من الإسلام ذريعة لذلك، وأخذوا يعملون على إضعاف العنصر العربي، وإتخذوا من العلويين والعباسيين شمّاعات يعتمدون عليها في عملهم السياسي، وشموعا لتنير لهم طريقهم لتحقيق أهدافهم غير المعلنة.

وبدأت تظهر لدى الفرس حركات كانت في بداية أمرها سياسية سرية، و لكنها تحولت بمرور الزمن إلى قوة عسكرية، و تحالفت مع من أراد إسقاط الدولة الأموية، و تفاصيل ذلك يعرفها المؤرخون المنصفون .

وقد عرجنا على ذكر بعضها لإرتباطها بالثقافة الأدبية التي شملت كل مناحي الحياة ومنها السياسة.

كما أن للمنازعات الحزبية والتعصب القبلي يد طولى في سقوط الحكم الأموي، فتجمعت كل هذه الأسباب والأحوال على بغض العنصر العربي عموما و الأموي خصوصا، وبقيادة العباسيين وبمعاونة التيار الفارسي قامت ثورة إنطلقت شرارتها من بلاد فارس لتقضي على الأمويين وتسقط حكمهم، ولتقوم الدولة العباسية الجديدة الفتية سنة ١٣٢ هجرية.

و هكذا قامت الدولة العباسية في العراق إثر سقوط الدولة الأموية في الشام، وكان للفرس أثر عظيم وكبير في قيام الدولة الجديدة وفي سياستها وشؤونها، وقد أدى ذلك إلى تدخل الفرس بسياسة الدولة وقيادتها، و فرضوا الكثير من النظم والعادات والتقاليد الفارسية، و أحلوها محل العربية، وأجبروا الناس على تقليد الفرس في أشياء كثيرة، خاصة و قد فرضوا سيطرتهم على بعض المناطق في بلاد فارس والثغور الشرقية للدولة الإسلامية، فضعف النفوذ العربي وقل تدخل العرب في شؤون الحكم والدولة العباسية، التي أصبح الكثير من رجالاتها وقادتها من الفرس، وهكذا فالعربي الذي كان يأنف أن يعمل في بعض

الأعمال الحرة، أو التي كان يحتقرها أصبح مجبرا على أن يزاولها، و بمضي الوقت و نتيجة قوة الخلفاء العباسيين في الصدر الأول للخلافة العباسية، تنبهوا على خطر الفرس فعملوا على إضعاف نفوذهم في العراق بعد أن إستتب الوضع الحكومي للعباسيين، فالخليفة المنصور قام بقتل الفارسي (أبو مسلم الخراساني)، والرشيد تخلص من البرامكة، فيما عرف بنكبة (البرامكة)، كما تمكن العباسيون من ضرب الحركات المجوسية التي ظهرت في وقتهم والقضاء عليها، إلاّ أنها إنتعشت بعد وفاة الخليفة هارون الرشيد، فقد تولى الحكم خلفاء كانوا من أسباب ضعف العنصر العربي في الدولة العباسية، بسبب كونهم أبناء زوجات غير عربيات، أو أنهم تزوجوا زوجات فارسيات وتركيات أو روميات، فكان أولادهم منهن يميلون كل الميل على أخوالهم، من ذلك ما فعله الخليفة المأمون، الذي كانت أمه فارسية حيث قرّب الفرس وإعتمد عليهم في الحرب و القضاء على أخيه الأمين (و أمه كانت عربية)، فقتله المأمون و إنفرد بالسيطرة على دفة الحكم،

و كذلك ما فعله المعتصم من بعده، و الذي كانت أمه تركية، إذ قرب الأتراك وسيّر دفة الدولة فيهم مما طمّع هؤلاء في السيطرة على الحكم بحيث أصبح الخلفاء العباسيون ضعافا من بعدهم بتصرف السلاجقة والبويهيين، الذين جعلوا الخلـفاء كأدوات شـطرنج يتلاعبون فيهم وفي مصائرهم كيفما يشاؤون،

وهكذا ظهر النفوذ التركي بدلا من الفارسي و سيطر الأتراك على الوضع السياسي، وربـما الإجتـماعي والثقافي أيضا،

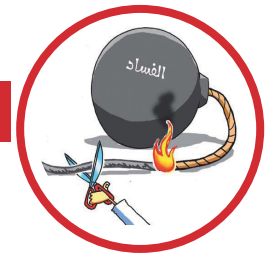
وساءت حالة المواطن العربي في وطنه في هذا الدور حيث لم يبق للخلافة غير الهيبة بالإسم والرسم فقط. وكذلك الحال في العصر



البويهي .

وهذه المستجدات وغيرها أدت إلى تغيير في توجهات الشعر العربي، حيث إرتفع صوت الشعر السياسي ضد الأمويين ونعي حكمهم المنهار، كما تمثلت العصبيات القبلية بين العرب أنفسهم وإستعر أوارها بين قيسية ويمانية وعدنانية وقحطانية، كما ظهرت حركة الفرس (الشعوبية) قوية جدا. وأدت هذه الأحوال إلى ظهور خلافات واسعة بين الهاشميين أنفسهم، وخاصة بين العباسيين والعلويين أذكاها الفرس حتى وصلت الأمور إلى حد المقاتلة والعصيان والكراهية، كما ظهرت بين المسلمين الخلافات العقيدية والمذهبية و برزت بين الطوائف والنحل المختلفة، أي أن التفرقة طالت كل شيء نتيجة التوسع الجغرافي في الدولة الإسلامية، وكان لكل فرقة أو مذهب أو عنصر أو قومية أدباء وشعراء ورجال يقودونها ويحركونها، سواء أكانت حركات سياسية أم دينية أم عنصرية أم قبلية أم ثقافية.

يتبـع في العدد القادم إن شاء الله



أيهما الأخطر الكورونا أم الفساد؟

كتابة: سربست مصطفى رشيد اميدي



تمر الآن علينا حقبة عصيبة ستؤثر كثيرا بالحياة اليومية، وحتى على مستقبل الأجيال القادمة نتيجة إنتشار فايروس الكورونا في العالم كمثل انتشار النار في الهشيم، هذا الفايروس الذي بدأ في مدينة (وهان) الصينية قبل ما يقارب ثلاثة أشهر، وبعد ذلك وصل إلى أغلب دول العالم، مع أن عدد ضحاياه يختلف من دولة لأخرى، ولكنه في إزدياد مضطرد في إغلبها، كما أن إستجابة شعوب وحكومات العالم للتصدي له تختلف أيضا من دولة لأخرى.

كما إختلف الباحثون والمتابعون لأصل ومنشأ الفايروس، حيث أن الكثيرين يصرون على أنه نتاج فعل أمريكي بهدف ضرب الإقتصاد الصيني الذي يتوقع أن يكون الإقتصاد الأول في العالم في العشر سنوات القادمة إذا ما حافظ على وتيرة نموه. وآخرون يدعون بأنه ليس بفايروس وإنما هو غاز السارين وسينتهي أثره في أواسط نيسان، وإن أمريكا تقف وراء ذلك. وجماعة أخرى تؤكد بأن الفيروس مناورة صينية الهدف منها هو نزول أسعار الأصول والسندات للشركات الأجنبية والمتعددة الجنسيات العاملة في الصين، ومن ثم شراءها بأسعار متدنية من قبل الصين، وحجتهم في ذلك هي نجاح الحكومة الصينية للحد من

إنتشار الفايروس والقضاء عليه تقريبا وبمدة زمنية قياسية. في حين أن آخرين يؤكدون بأن ما حدث عملية مدبرة وتقف وراءها مراكز بحوث وشركات أوروبية، وفي مقدمتها مركز أبحاث باستور الفرنسي، والهدف منها هو جني الأرباح من قبل شركات الدواء الأوروبية حين العثور على علاج رادع لهذا الفايروس، أي أن هذه الشركات تخلق الداء ومن ثم تبحث عن الدواء، لهذا نرى السباق المحموم للعثور على صنع علاج للفايروس من قبل الشركات الأوروبية والأمريكية والصينية حسب وجهة نظرهم. لكن مهما كان منشأ تولد الفايروس والسبب الكامن وراء ذلك، فيجب أن نعرف بأن الإنسان جزء من المنظومة الطبيعية للحياة الموجودة في الكرة الأرضية مع بقية المخلوقات ومظاهر الحياة الأخرى بإختلاف أنواعها واشكالها.

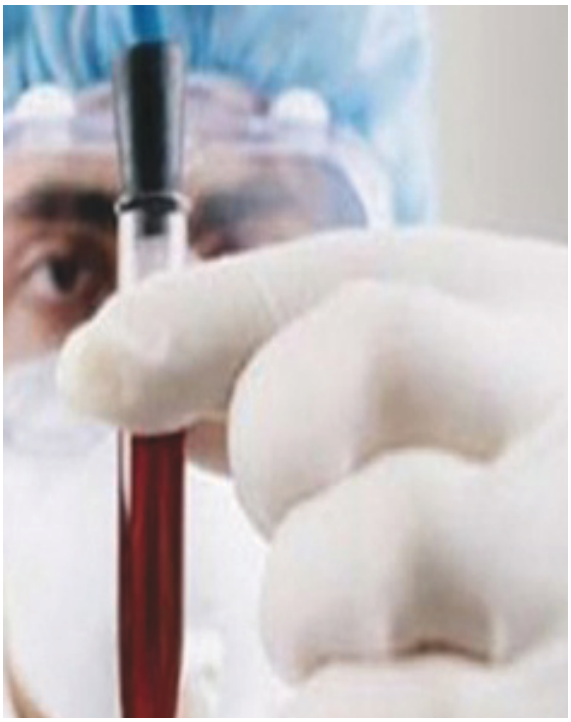
وإن تعامل الإنسان والسلوكيات البشرية و الإجتماعية والمعيشية قد ولدت وستولد ظهور أوبئة وأمراض تفتك بحياة الالاف وأحيانا الملايين من البشر على مر العقود مثل الطاعون والإنفلونزا والكوليرا والجدري والأيدز والإيبولا والآن كورونا، ولا نعرف غدا ماذا تكون؟ لكن الإنسان قد إستطاع الصمود أمام الطبيعة وهذه الأمراض ليس لكونه الكائن الأقوى، حيث إنقرضت الكثير من الحيوانات العملاقة وبقي الإنسان.

لكن ذلك بسبب القوة العقلية للإنسان وتمكنه للتعامل مع الطبيعة وتسخير الكثير من القوى الطبيعية والحياتية الأخرى لغرض إستمراره بالوجود والإمكانية على التغيير والإستجابة لمتطلبات إستمرار الحياة في الارض، لا بل تطوير حياته نحو الأفضل. لذا فمن المتوقع أن ينجح العقل البشري في إيجاد العلاج للقضاء على الفايروس والحد من إنتشاره إن عاجلا أم آجلا، بوساطة الإجراءات الحكومية والصحية ومدى إستجابة مواطني كل دولة لها بوساطة تغيير كثير من السلوكيات اليومية والإجتماعية.

لكن من المحتمل أن يحقق ذلك النجاح بعد أن يفتك هذا الفايروس بحياة الكثيرين، خاصة بالنسبة للشعوب التي تستهين بتأثير هذا الفايروس ومدى خطورته على حياة الإنسان، والتي لها زعامات سياسية أو دينية أو إجتماعية تستهين بحياة شعوبها، أو تحاول إستغلال مآسي الناس على وفق مصالحها وفرض واقع ورؤى سياسية لها، وتكوين رأي عام فيها لخدمة مصالحها وإستمرارها في السلطة. حيث إني أعتقد أن الأجهزة الأمنية والحكومية في بعض الدول تتحكم في وسائل الإعلام ولا تنشر الأرقام الحقيقية للمصابين والمتوفين نتيجة إنتشار الفايروس مثل إيران والصين وتركيا وسوريا. أو أن نظامها الصحي والوقائي غير مؤهل للإستجابة للتصدي لفايروس الكورونا خاصة إذا إنتشر على نطاق واسع مثل إيطاليا والعراق و إيران، في حين أن دولة مثل المانيا فان نظامها الصحي من أكفأ الأنظمة الصحية العالمية لحد الآن، أخذت تتعامل مع المرض بخطوات تصعيدية وإجراءات متينة وواثقة، ويلاحظ ذلك لدى معرفة عدد المصابين مع حالات الوفاة والشفاء بشكل واضح، ولنقارن بين خطاب المستشارة الألمانية السيدة ميركل وبين خطاب رئيس الوزراء الإيطالي السيد جوزيبي كونتي والذي يعرف حقيقة النظام الصحي في دولته، فقد بكى وتضرع إلى الله للقضاء على هذه الآفة.

لكن لنتفق أن الإمكانية وقدرة النظام الصحي ومدى إستجابة الشعوب للإمتثال و تطبيق الإجراءات الصحية والحكومية الإحترازية هي الضمانة الأساسية للحد من إنتشار هذا الفايروس الخطير، ومن ثم القضاء عليه لاحقا. والذي يعتمد كما أسلفنا على مدى وعي الشعوب وعلى الإجراءات الحكومية وطبيعتها

ومدى حزمها في التطبيق، فالأنظمة الإستبدادية لا تهمها حياة شعوبها ولا يهمها إحترام حقوق مواطنيها، لكنها بالمقابل بالنظر لجبروت وقوة الأجهزة الأمنية فيها فإنها تستطيع تطبيق الإجراءات الاحترازية المطلوبة التي تعتبر خرقا للحقوق الأساسية والشخصية للإنسان في الظروف الاعتيادية، بشكل أسهل وأسرع من غيرها من الدول. مثلما لاحظناها في تجربة الصين للتصدي للفايروس بفضل إمكانياتها التكنولوجية والرقمية العملاقة، ولكون نظام الحكم فيها نظام إستبدادي، فرض ما يريد بالقوة فاستطاعت الحد من إنتشار الفايروس بشكل كبير وإقتربت من القضاء عليه. في حين أن بعض الدول الأوروبية أخذت تتخبط في إجراءاتها بسبب تخوفها من وضع إجراءات صارمة مثل منع تجول مواطنيها ومنعهم من الخروج من دورهم، وتعطيل الحياة الإقتصادية واليومية في بلادها خوفا من إتهامها بإنتهاك حقوق الإنسان لمواطنيها، لكن بما أن هذا الفيروس سبب مؤكد لموت جماعي للبشر فلا بد من العمل للحفاظ على حياة الموطنين بكل السبل المتاحة. ومهما قلنا عن فايروس كورونا وتأثيره وخطورته على الحياة البشرية، لكن هنالك فايروس آخر أكثر خطورة وتأثيرا وفتكا بالحياة البشرية، ويعيش مع فكر الكثيرين خاصة أصحاب القرار والطبقات السياسية وكبار الموظفين والتجار والزعامات الإجتماعية والعشائرية في عدد كبير من الدول من قديم ولحد الآن، هذا الفايروس ألا وهو فايروس الجشع والفساد. هذا الفايروس هو في مقدمة أهم الأسباب التي أدت وتؤدي إلى حدوث جميع المآسي التي حلت بالبشرية لحد الآن. فجميع الحروب التي حصدت أرواح الملايين من الناس كانت نتيجة فرض السيطرة وتغليب المصلحة والجشع وجني المزيد من



الأرباح، ومن ضمنها الحرب العالمية الأولى والثانية و قد حصدتا معا حياة أكثر من (٨٠) مليون إنسان. والفساد هو السبب في نهب القارة الأفريقية والتي جعلت الملايين من البشر يفقدون حياتهم نتيجة تفشي المجاعة والتصحر في عدد كبير من الدول الأفريقية، ولكون حكام أغلب تلك الدول كانوا مستبدين وهمهم الأساسي كان إكتناز الأموال على حساب حياة ومصير شعوبهم، مثل (بوكاسا) في أفريقيا الوسطى و (عيدي أمين) في أوغندا على سبيل المثال. والجشع والفساد هما السبب في إخضاع عشرات الدول لإستعمار وسيطرة الدول الأوروبية المتقدمة ونهب ثرواتها وتشويه التطور الطبيعي فيها. كما حدث لوطننا العربي و عالمنا الإسلامي، أما حاليا فإن الفساد هو السبب في نهب وإختلاس آلاف المليارات من العملة الصعبة في عدد كبير من دول العالم من قبل الطبقات الحاكمة و جماعات طفيلية تعيش على جسد الدولة ومؤسساتها ولا وجود لها

بدون وجود الطبقات الحاكمة تلك. هذا الوضع ينطبق على عدد كبير من الدول التي عانت أو تعاني من آفة الفساد على سبيل المثال البرازيل والمكسيك والأرجنتين وإيران وسورية ولبنان، وعدد من دول جنوب شرق آسيا مثل كمبوديا والفليبين وعدد من الدول الأوروبية في شرق ووسط وجنوب القارة كإيطاليا، والتي مثل عنها الكثير من الأفلام والمسلسلات التلفزيونية لبيان دور عصابات الجريمة المنظمة (المافيا) فيها وعلاقتها بالنخبة الحاكمة والمؤسسات الإعلامية كذلك. وهنالك دول فيها الطبقات الحاكمة هي طبقات رأسمالية تمتهن في الوقت نفسه التجارة وتمارس أعمال المقاولات وتبيع لنفسها ممتلكات وأموال الدولة بحجة خصخصة الإقتصاد، والأمثلة على هكذا دول كثيرة. لذلك فإن مثل هذه الأنظمة يتفشى الفساد فيها و كثيرا ما يكون مصاحبا بالإستبداد والجهل والفقر والمرض وطغيان عادات وتقاليد بالية إجتماعية أو إقطاعية أو غيرها. فتتسبب هذه الأنظمة بمآسي كبيرة لشعوبها من تدني مستوى المعيشة وتفشي الفقر وعدم وجود الخدمات الأساسية وتدني المستوى الصحي، وعدم وجود أنظمة ضمان صحي لمواطنيها، وهجرة الملايين من المواطنين إلى دول أخرى طلبا للعيش والأمان. بسبب البطالة و تدهور الصناعة الوطنية و الزراعة و الثروة الحيوانية، و مثل هذه الدول تحولت الى مجتمعات إستهلاكية تستورد جميع السلع والخدمات من الخارج، إلاّ ما ندر، والمستفيد الأول من ذلك الطبقات الحاكمة والبرجوازية الطفيلية الملتصقة بها. فآفة الفساد من الخطورة والإنتشار بحيث من الصعب الإحاطة بجميع آليات عملها ونتائجها التدميرية، التي جعلت مستقبل أجيالنا على كف عفريت الفساد، لذلك من الضروري العمل على الحد من مظاهر الفساد وإقامة المؤسسات والاليات الكفيلة بتقويض أسس الفساد و مرتكزاته الإجتماعية والإقتصادية والقانونية، ومن ثم القضاء عليه مستقبلا، وهذا الأمر ليس بالمستحيل. فهناك أمثلة لدول عانت من الحروب والفساد والفقر والجهل والمرض، بعد تملكها لإرادة سياسية تمكنت من وضع خطط سليمة قضت تقريبا على أسس تفشي الفساد في مجتمعاتها و أوقفت نهب أموال شعوبها، فأصبحت تتقدم بخطى ثابتة نحو المستقبل وتخلصت من أوضاعها السيئة، مثل البرازيل و ماليزيا وأثيوبيا ورواندا.

أما فايروس كورونا فإنه يمكن الحد من إنتشاره والقضاء عليه بسهولة أكبر بوساطة الإلتزام بالإجراءات الحكومية وتطبيق التوجيهات الصحية. لكن إنتهاء الكورونا من المتوقع أن تتبعه أزمة إقتصادية عالمية ها هي تقف على الأبواب و من المتوقع أن يكون تاثيرها السلبي كبيرا على كثير من الدول ومواطنيها، و هذا الظرف المستجد سيكون سبيلا إلى حدوث تغييرات إجتماعية وإقتصادية وربما سياسية كبيرة. فالآفات والأوبئة والحروب والثورات تكون دائما سببا في إحداث تغييرات جذرية في حياة الكثير من الشعوب و تغيير السلوك الإجتماعي و الواقع الإقتصادي، و بعد الذي حصل من إنتشار كورونا فعلى البشرية و أنظمة الحكم أن تعرف أن الأولوية يجب أن تكون لبناء المستشفيات والمدارس والجامعات ومراكز البحوث، لأن الفيروس لا يفرق بين الغني والفقير، ولا يفرق بين المواطن البسيط وبين المسؤول الحكومي أو الحزبي، ولا يفرق بين القوميات والملل، ولا بين المتدين والملحد، ولا بين المسلم والمسيحي والبوذي واليهودي، ولا بين الشيعي والسني، ولا بين الرجل والمرأة. وسيعرف الجميع أن الحرص على حياة البشر هو الأهم بوساطة بناء إقتصاديات ترتكز في أمور أساسية في حياة الناس والأجيال القادمة وفي مقدمتها الصحة والتعليم.



الكورونا والتغذية

بقلم: الدكتور يوسف قريشي
رئيس الجمعية العربية لمكافحة المخدرات

فيروسات كورونا هي من فصيلة كبيرة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان، وهو فيروس مستجد ولم يكن هناك أي علم بوجوده من قبل، وقد ظهر مؤخرا وتفشى في مدينة يوهان الصينية، وهو فيروس تاجي كبير للغاية، ويبلغ قطره ٤٠٠ إلى ٥٠٠ نانومتر، ويسبب عدوى الجهاز التنفسي.

ما هي أعراض كورونا كوفيد ١٩؟

تتمثل الأعراض والأكثر شيوعاً بالحمى والسعال الجاف والإرهاق، وقد يعاني بعض المرضى من آلالام أو الإحتقان في الأنف أو الرشح مع ألم بالحلق، و هذه الأعراض قد تكون مصحوبة بالإسهال، وعادة ما تكون الأعراض خفيفة. وقد يصاب بعض الناس بالعدوى بدون أن تظهر عليهم أي أعراض ومن دون أن يشعروا بالمرض. وبسبب المرض قد يشعر المصاب بصعوبة في التنفس، ويزداد إحتمال الإصابة عند المسنين والأشخاص الذين يعانون من أمراض مزمنة وخطيرة، مثل: إرتفاع الضغط، والسكري، وغسيل الكلى، وأمراض القلب وغيرها.

كيف ينتشر مرض كورونا كوفيد ١٩؟

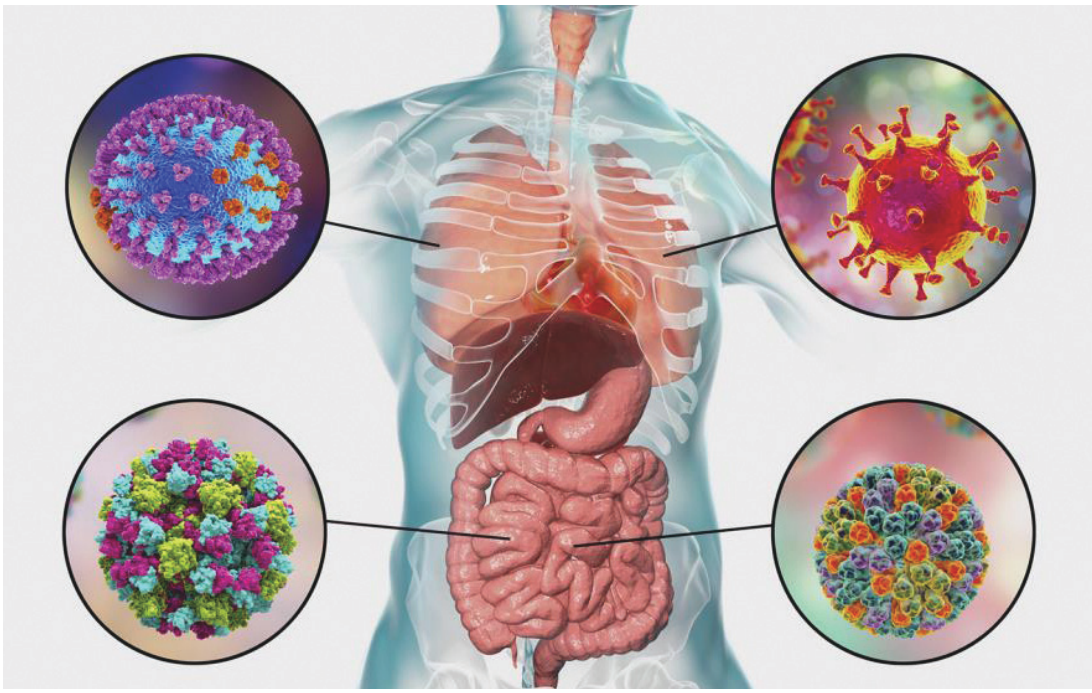
يمكن أن يصاب الأشخاص بعدوى عن طريق الأشخاص المصابين بالفيروس، أو



عن طريق الرذاذ المتناثر في الهواء الناتج من السعال أو العطاس من فتحات الأنف أو الفم، فكل من يلامس هذا الرذاذ يصاب بالعدوى خاصة بعد أن تستقر على الأسطح والأشياء الجامدة، ثم يلمسها الشخص و بعدها يلمس عينه أو فمه أو أنفه، فيدخل الفيروس إلى جسم الشخص، أو إذا إستنشق الرذاذ الذي يخرج من المصاب، ولذا من الضروري الإبتعاد عن الشخص المصاب مسافة مترين على الأقل.

هل ينتقل الفيروس عن طريق الهواء؟

تشير الدراسات التي أجريت حتى كتابة هذه الأسطر إلى أن الفيروس لا ينتقل عن طريق الهواء، بل عن طريق الملامسة.



هل يستطيع الجسم مواجهة الفيروس؟

عند إقتحام الفيروس للجسم، خاصة الشعب الهوائية من الرئتين، يتفاعل بروتين الفيروس مع بروتين خلايا الحويصلات ويبدأ بالتغلغل في الحويصلات، مما يعيقها عن القيام بوظيفتها، و في هذه اللحظة تحصل معركة شرسة بين الكريات البيض والفيروس، وإذا إنتصرت الكريات البيض (جهاز المناعة في الجسم) فإن المصاب ينجو ويتجاوز الخطر، وبالتالي يتآكل الفيروس ويتم طرحه مع البول أو الرذاذ أو السعال. أما إذا حصل العكس فتتغلب الأعراض على المريض ويضعف جهاز المناعة وتقع الكارثة حيث تتلف الرئة وتتناقص المياه من الرئتين، وبعدها تبدأ حرارة الجسم بالإرتفاع، مما يعني أن المعركة مستمرة حتى الرمق الأخير.

كيفية الوقاية من العدوى؟

١-غسل اليدين بالماء والصابون بانتظام وبشكل جيد.
٢-تغطية الفم والأنف عند السعال والعطس.
٣-طهي اللحوم والبيض جيداً.
٤-تجنب الإتصال المباشر مع أي شخص تظهر عليه أعراض أمراض الجهاز التنفسي مثل: السعال والعطاس والرشح.
٥-الإبتعاد عن التجمعات.

متى يجب غسل اليدين؟

١-قبل وبعد وأثناء إعداد الطعام.
٢-قبل تناول الطعام.
٣-قبل وبعد رعاية شخص مريض.
٤-بعد السعال والعطاس.
٥-بعد تغيير حفاضات الطفل.
٦-بعد إستخدام دورة المياه.
٧-بعد لمس الحيوانات.
٨-بعد لمس القمامة.

كيفية العطاس لتقليل العدوى؟

إستخدام المناديل الورقية للعطاس أو السعال والتخلص منها بأسرع وقت، وغسل اليدين بالماء الدافيء والصابون. يجب شرب المشروبات الساخنة بشكل مستمر. خلع الأحذية قبل دخول المنزل وذلك لإحتمال وجود الفيروس على النعل. تعقيم اليدين بمادة تحتوي على الكحول.

هل يمكن الشفاء من فيروس كورونا كوفيد المستجد؟

نعم يمكن الشفاء منه؛ وقد بلغ عدد الحالات التي شفيت بعد الإصابة أكثر من ٩٠٪ من مجموع الحالات المسجلة.

هل تساعد الغرغرة بغسول الفم على الوقاية من العدوى؟

لا؛ لا يوجد أي دليل علمي على أن إستخدام غسول الفم يقي من العدوى.

هل يمكن أن ينتقل الفيروس كورونا كوفيد ١٩ عن طريق لمس العملات النقدية أو بطاقات الإئتمان؟

هناك خطر الإصابة بفيروس كورونا كوفيد ١٩ نتيجة ملامسة الأغراض بما فيها العملات المعدنية أو الأوراق النقدية؛ وتشير المعلومات الأولية لمنظمة الصحة العالمية أن الفيروس يمكن أن يبقى حياً على الأسطح لبضع ساعات فقط ويمكن أن يتعرض أي غرض للتلوث بالفيروس، لذا يجب التقيد بقواعد نظافة اليدين الصحية سواء باستخدام مطهر كحولي أو فركها بالصابون لمدة ٢٠ ثانية على الأقل.

هل يمكن إعادة إستخدام الكمامات، وهل يمكن تعقيمها بواسطة معقم اليدين؟

لا؛ لا ينبغي إعادة استعمال الكمامات أو محاولة تعقيمها بعد الإستخدام فإذا كنت تخالط شخصاً مصاباً بعدوى تنفسية، فإن الجزء الخارجي من الكمامة يعتبر ملوثاً. لذا ينبغي إزالة الكمامة بدون لمسها من الأمام والتخلص منها على النحو السليم، وبعد نزع الكمامة ينبغي فرك اليدين بمطهر كحولي أو غسلها بالماء والصابون.

هل سيوقف الجو الدافيء إنتشار فيروس كورونا المستجد؟

لم يعرف بعد ما إذا كان الجو الحار يؤثر بانتشار الفيروس ولكن الفيروس ينتشر أكثر في جو الشهور الباردة. وهذا لا يعني إستحالة الإصابة بهذا الفيروس في شهور أخرى غير الشهور الباردة .

و أخيرا أقول لكم هذه القاعدة: الأكثر فعالية لعدم إنتشار فيروس كورونا والإنتصار عليه هي: أن تتعامل مع أي شخص على أنه مصاب، وتتصرف أنت مع كل الأشخاص على أنك مصاب. ان كورونا جاءت لتوقظ الضمائر، وتجعلنا نقف على حقيقة أنفسنا وقدراتنا وقدرنا عند ربنا، فإذا كنا قد عجزنا عن مواجهة جرثومة صغيرة لا ترى بالعين المجردة، ولم تستطع حكومات وجيوش العالم التعامل الجدي معها، وهي جرثومة من جنود الله الصغيرة التي لا يعلمها إلا الله؛ فحري بالإنسان المعاصر أن يعود إلى ربه وخالقه وأن يعلن توبته، حتى يوفقنا الله لمعرفة وسيلة التخلص من فيروس كورونا و ينقذنا من هذه الأزمة الحالية.



التغذية:

إن الصيام مهم جداً لجسم الإنسان، فخلال ساعات الصيام يقوم الجسم بتنظيف نفسه كتنظيف الكبد من السموم والرواسب، كما أن الخلايا تطرح السموم التي تحتويها والصيام هو الوسيلة للتخلص من السموم والمواد المتأكسدة.

ومن فوائد الصوم أنه:

يعدل مستوى ضغط الدم، وهو وسيلة جيدة لعلاج الربو وأمراض الجهاز التنفسي، ويفيد الأمراض القلبية ويمنع تصلب الشرايين، ويفيد في علاج أمراض الجلد وبشكل خاص الحساسية والأكزما المزمنة، ويساعد في الوقاية من مرض الحصى الكلوية والأمراض الخبيثة مثل السرطان.

ماذا نأكل على مائدة الإفطار؟

قد يسبب الإفراط عند الإفطار مضار عديدة أبرزها: التخمة، وعسر الهضم، والحرقة، والدهنيات في الدم، وزيادة الوزن. لذا ينصح بأن يكون طعام الإفطار قليل الدسم وبسيطاً غير معقد ولا مركب.

في البداية حبة من التمر، إذ يعتبر التمر من الفاكهة الغنية بالسكر التي تمد الجسم بالطاقة بشكل سريع وفعال، زيادة على غناه بالأملاح المعدنية الضرورية للجسم، ثم بعد ذلك ينصح بشرب الماء، ثم تناول الحساء الطازج ويفضل أن يكون من الخضار أو العدس، وبعد ذلك يمكن لمن يرغب في تناول السلطة على أن تتضمن ملعقة صغيرة من زيت الزيتون.

ينبغي أن يكون الطبق الرئيسي قليل الدسم، ويمكن أن يحتوي قطعتين من اللحم قليل الدسم أو قطعة من صدر الدجاج منزوع الجلد أو السمك المشوي مع بعض الخضار المطهو من دون دهون؛ زيادة على ذلك كمية معتدلة من النشويات كالأرز والبرغل والفريكة والمعكرونة والخبز أو ما شابه ذلك. كما وينصح بالفصل بين تناول السلطة والطبق الرئيس بحدود العشر دقائق، ويفضل استبدال الخبز بأربع حبات صغيرة من المعجنات المخبوزة بالفرن مع قليل من الزيت.

ماذا نأكل في ليالي رمضان؟

أثناء المدة الممتدة من الإفطار وحتى السحور، ينصح بالإكثار من السوائل والعصائر الطبيعية، خصوصاً بعد التأكيد من إتمام عملية

هضم طعام الإفطار، وذلك لتعويض ما خسره الجسم من السوائل في ساعات الصوم في النهار؛ مثل: المياه العذبة، والعصائر الطبيعية كالبرتقال، والحليب أو اللبن الطبيعي الطازج (الزبادي) الخالي من الدسم، والحساء، ونقيع الأعشاب؛مثل: الزهورات والتمرهندي والعرقسوس والبابونج والشاي الأخضر وغيرها.

أما بالنسبة لمشروبات شهر رمضان؛ مثل: الجلاب وقمر الدين والسوس، فلا ننصح بالإكثار منها، كما نلفت الإنتباه إلى ضرورة أن تحضر في المنزل مع التحكم في كميات السكر المضافة إليها. ولا مانع من تناول المكسرات النيئة على اختلافها، وننصح بالتقليل من تناول الحلويات على اختلافها نظراً لتأثيرها السلبي على ارتفاع نسبة السكر في الدم، وما يمكن أن ينتج عنه من عوارض سلبية غير محمودة ولا مضمونة النتائج.

ماذا نأكل وقت السحور:

ينظر إلى وجبة السحور على أنها الأكثر أهمية لأنها تزود الجسم بالغذاء اللازم طوال النهار وحتى بداية الليل؛ لذلك يفضل أن تشتمل على الحليب ومشتقاته كالألبان والأجبان والخبز أو القمح والفاكهة أي التركيز في الكالسيوم والفوسفور والبوتاسيوم إلى حد ما.

نصائح للمصابين بالسمنة:

ينبغي تجنب الدهون والحلويات والاعتدال عند تناول الفاكهة والإكثار من تناول الخضرة مع تناول قدر مناسب من اللحوم الخالية من الدهون كلحم البقر وصدر الدجاج والسمك



والتونة، لأنها مصدر مهم لتزويد الجسم بالبروتين وتؤمن الشعور بالشبع.

للمصابين بارتفاع في ضغط الدم:

ينبغي تجنب شرب السوس أو تناول الملح وعدم الإكثار من الدهون أو زيوت المقالي و لا الحلويات كما يجدر بهؤلاء تفادي تناول عصير الليمون.

للمصابين بفقر الدم:

يلزم هؤلاء الإكثار من تناول اللحوم الحمراء والخضروات والبندورة والحمضيات التي تحتوي على فيتامين سي الذي يساعد في امتصاص الحديد في الجسم، زيادة على السلطات وحساء العدس مع عدم إغفال قرص الحديد.

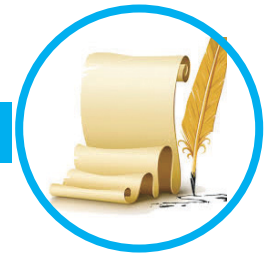
للحد من مشكلة الإمساك:

ينبغي تناول كمية وافرة ومناسبة من الماء واستبدال الخبز الأبيض بالخبز المصنوع من القمح الكامل، والأرز الأبيض بالأرز الكامل، مع تناول الفتوش والحساء والفاكهة لما تحتويه من ألياف.

نصائح للمسنين (ما فوق ٦٥ سنة):

للذين لا يرغبون في تناول الخضروات والعصائر والفاكهة إطلاقاً، ينصح بتناول المتممات الغذائية من معادن وفيتامينات وأحماض أمينية في المساء.

اللهم تقبل منا رجب وشعبان وبلغنا رمضان بسلام، واجعلنا من عتقاء النيران.



وجدانيـــات

بقلم: اسماء القادري

الأمن مستتب في أوطاننا فلمَ هذا التشاؤم يا أخي..لماذا أراك تظلمنا يا أخي وتراهن على تخلفنا..أم أنها أعراض تلك الفيروسات التي هلوست العالم جميعاً وليس فقط عالمي..تظنها مؤامرة تحيكها دول عظمى وحرباً شرسة لا يرحم فيها القوي الضعيف ..لا يا أخي إنها بلاء للعباد..بعدهم عن إنسانيتهم أفقدهم معنى وجودهم في هذه الحياة فوجب تذكيرهم بضعفهم وقلة حيلتهم أمام فيروس لا تراه العين المجردة فجعل العجز واضحاً حتى في الدول المتحضرة..

خبزنا الصمت، وحياتنا الموت..أجل الموت يا أخي ذاك الذي بات وهماً يعيشه الكثيرون أو حتى يتمنونه بدون أن يجهزوا له العدة، وأي عدة تلك ولم نحمل معنا متاعاً ليوم الحساب.. قد تتساءل وما نفع المتاع هناك، متاعنا ليس من هذه الدنيا الفانية بل ما تحمله رقابنا من حسنات تضيء دروبنا.. حسناتنا باتت وهماً نستجديه من كثرة السخط الذي نبلل به مساحات السجود، نسخط ونتذمر حتى من ذبابة مرت بدون أن نلمحها.

موت بين زفرات الصمت وحشرجة الصوت المخنوق من هموم الحياة..والأمن مستتب يا أخي فلا تقلق من كثرة الوفيات في قلب المدينة التي تعرّت أمام أنواع الظلم والبلاء..تكثر الوفيات أيضاً من أمراض أخرى ومن الجوع أيضاً فهل يعقل حقاً أن يموت الكثير من البشر في اليمن جوعاً في هذا الزمن المتحضر يا أخي.

من غضب الشعوب تراجع المطر فتبّخرت قطراته على بوّابة السماء، تبخر والظلم منعه من الهطول ببساطة هنا..أم أنه تراجع عندما لم نعد نهتزّ طرباً لقطراته ولحظات عناقه مع الثرى..حتى الآذان بات نوعاً آخر من النداء، لم تعد كلماته تحيينا وتوقظ فينا الدعاء والقرب من المولى عزّ و جلّ..البلاء يا أخي جعلوه نوعاً من التعذيب النفسي لقهر الشعوب وإذلالها ووجهوا أبواق الإعلام لجعلنا فريسة للوهم والهلع.

إنها الأوطان ياأخي تشيخ الأرواح فيها قبل الأجساد في فضاء هذه الدول العاجزة أمام تزايد الخبث والقهر.. ويحتضر الكلام فمن أين لي بأبجدية مختلفة عن لغة الأسواق والرعاع دول تتغنى بتخلفها وبواقعها المتسول حتى بصحة أبنائها، ينادي مسؤولوها بعجزهم وقلة حيلتهم أليس من الأجدى لهم حرق أنفسهم قرباناً لترضى الشعوب المخنوقة بعد أن فقدت الثقة بهم وبسياستهم الكاذبة.. تعلمنا أن نقنع بالوباء ونجعله لنا عقاباً من الله عزّ و جلّ بدون أن نوجه الإتهام للصوص سرقوا حتى أحلامنا بالأمن فأين الطمأنينة يا أخي..تجد البؤس عنواناً للكثيرين من غلق الكعبة لأوقات قليلة منعاً واحترازاً ولم نسمع خوفهم وهلعهم من ملايين الشهداء في سورية وفلسطين واليمن وكل أنحاء أمتهم.

الأمن مستتب في هذه الطرقات فتتوالد الخطوات، تتسابق للوراء مستسلمة يائسة تجرّ الجميع نحو البؤس، وتفعل الأمراض بأمّة ما لا تفعله سنوات الحرب، فنطقوا بالهلع، وتجاوزوا حدود الواقع ليبتعدوا عن حزنهم، وليتطهّروا

بالدمع قبل أن يلوّثهم الغضب..

أجساد تظن أن النجاة بالهروب من الواقع والتذمر المستمر، تتمايل على أنقاض أرواح تهاوت.. لا حياة فيهم يا أخي منذ زمن.. هم أموات حين جعلوا أرواحهم جافة تزيد من عجزهم وينزفون حتى الإحتضار.. تتعثّر خطواتهم وتضيع مع صخب آخر الأنباء.. عيونهم معلقة بأرقام المصابين والدول المنتشر فيها الموت.

فوضى تزرع الخوف في النفوس، يزرعونها ليحصدون شعوباً تتجمّل بمزيد من البشاعة، فهل يمكن لها أن تتطهّر من جبنها.. حين خلت قلوب الكثيرين من الإيمان والثقة بالله عزّ و جلّ..فالموت قادم أتظن أنك مخلد في هذه الدنيا سيضمك التراب بوباء أو بشهقة أو بسكتة.. والموت واحد فلا تجعل هلعك يغرقك في بحار البؤس.

يتقافزون حين يسمعون بمرض هنا أو فقر هناك فالخوف عشعش في العقول الذاهلة، يتراقصون كالظلال وقد سكنت أعينهم العتمة.. يتمايلون وقد تناسوا يوماً ما أحوجهم فيه إلى الثبات والعودة إلى رحاب التوبة والإنابة إلى المولى عزّو جلّ.. يتناسون كم مرّ على غيرهم من أهوال الحروب والمجاعة، لم يتعرفوا الدعاء حتى في أشد أزماتهم.. يتناسون الأرض التي ما إنفكّت عن بذار الأمل والتفاؤل بدل العيش في قوقعة اليأس.

فإلى متى تظل أسيراً توزّع أنظارك لا تدري إلى أين تمضي... إلى متى تزرع روحك بالعجز والضعف، وكأن طريقك الشوك والهلع ديدنك.. كن إيجابياً وانشر هذه الروح في غيرك وهذا لا يمنعك من أخذ الإحتياطات، ولكن لا أن تجعل هاجس البقاء كل تفكيرك. إلتهمنا حب التفاصيل لنصنع طرقاً جديدة للسعادة والارتياح فيكفيك كلمة طمأنينة من أحدهم لتبلسم نبضك المتوتر في لحظات الخوف الكثيرة التي تعيشها..فابحث عن تفاصيل تسعدك ولو كانت مملة ..واسعد من حولك، أجل كن أنت الومضة الإيجابية في هذا الزمن.

ذكر الله عزّ و جلّ أنواع البلاء في كتابه الكريم التي قد تطال الناس في هذه الحياة، فذكر منها الجوع وفقدان الأمن ونقص الأموال والموت، وبين الله سبحانه وتعالى أن هذه الإبتلاءات تطهر الأرواح من الخطايا وترفعها عن الذنوب والتعلق بالدنيا، فالحل هو الصبر ..فحياة البشر مبنية على الكد والبلاء الذي يدفعك للضجر والسخط أو للسخرية وكثرة النكت الساذجة إن نزلت بنا الهموم والأمراض، حتى تدرك أنك أمام مجتمع تبلغ سخافته أن يستهزئ بالموت كما سخر من إنسانيته وتناساها..قال تعالى:»لقد خلقنا الإنسان في كبد»، و هذه آية تختصر حقيقة الحياة التي جبلت على الكدر والهم وضعف الإنسان من دون أن يدرك ويتبصر بمآله..كثرت من حولنا الخطوب لذا وجب علينا الصبر كالصبر الجميل الذي ذكره الله عزّ و جلّ في قصة سيدنا يعقوب وما حلّ به من فقده ولديه، فاكتفى ببث حزنه وضيقه إلى ربه حتى فقد بصره ، ولم يكن من دعائه سوى ما رواه الله عنه:» قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ «(يوسف -٨٦).. دعاء عظيم راسخ الإيمان والعقيدة لا تزلزله الحوادث والنوائب...ومن ثمار الصبر أن الصابر يكون في معية الله ورحمته وعونه حين قال الله عزّ و جلّ لنبينا الكريم:» وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ « (الطور- ٤٨)..أجل كن واثقاً من رحمة الله سبحانه لك ولعباده ..»فإنك بأعيننا» حين تكون قريباً من ربك تذكره في الرخاء فسيحيطك برحمته في شدتك..وما أحوجنا في هذه الأيام إلى بلسم الدعاء والثقة بما قدره الله لنا من إبتلاءات ومحن..قال تعالى:(قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)(التوبة -٥١)

فيا أخي ! كن إيجابياً وجدد إيمانك بالله ، ولتجد لك فرصة للعودة إلى رحاب التوبة واليقين.



إحرصوا على تعليم طفلكم الفكاهة والمرح

د.ربى شعراني
أستاذة جامعية - لبنان

تناولت الدراسات الفكاهة وإكتشفت العديد من الجوانب المقترنة بقيمتها كآلية للتأقلم ودلالة على القدرة على التكيف. وإكتشفت أن الأشخاص الذين يتمتعون بقدر جيد من روح الفكاهة ينعمون بالرضا عن النفس، فهم لديهم قدرة على التأثير، وينعمون بمشاعر إيجابية في توجيه حياتهم وترسيخ أقدامهم في العالم. وليس من السهل أن يغضبوا حتى وإن كانت الدعابة موجهة ضدهم. فمن سمات الشخص الذي يتمتع بالصحة النفسية، قدرته على الضحك على الرغم من إدراكه أنّه وقع فريسة لمفارقة تهكمية ما.

فالفكاهة قوة إيجابية في حياة الإنسان، إذ تتحسّن الصحة النفسية للبالغين بفضل الفكاهة السائدة في حياتهم. وتوضح بعض الدراسات البحثية كيف يمكن أن تكون روح الفكاهة أحد العوامل المرتبطة بالصحة البدنية أيضا. فقد نشر الأستاذ ليكفورت دراسة قام بها بأخذ عينات من دم المشاركين قبل الإستماع لحوار فكاهي وبعده.

وعلى إثرها إتضح أن المشاركين الذين إستمعوا إلى الحوار الفكاهي كانت لديهم في دمائهم نسبة أعلى من الموارد الكيميائية الخاصة بالجهاز المناعي القوي، بخلاف المشاركين الآخرين في الدراسة ممن لم يستمعوا إلى الحوار الفكاهي.

وقد إتضح إرتباط الضحك بردود الأفعال العصبية والكيميائية الأخرى في الدماغ وذلك بواسطة التصوير بالرنين المغناطيسي. فعندما



يضحك الإنسان تزداد معدلات ضربات القلب والتنفس والوظيفة المناعية علاوة على إفراز الاندورفينات. وهي المواد الكيميائية المسؤولة عن الشعور بالسعادة في جسم الإنسان.

فالدماغ يمثل محطة التشغيل الأساسية لجميع هذه الأنشطة. وهو يساعد الأشخاص في ملاحظة وإدراك موطن الغموض أو التناقض الذي سيجري إستيعابه وترجمته على أنه دعابة، كما أن الدماغ يصدر الإشارة برد الفعل الفسيولوجي الذي يتمثل بالضحك.

و يتميّز الضحك من فوائد نفسية، فهو يساعد الناس في إجتياز المواقف العصبية في الحياة وتخفيف أعراض الاكتئاب بعد تكبد الخسارة. وهو مقترن بإنخفاض معدلات التوتر، لتكون الإنفعالات الإيجابية والمتعة الكلية عاليتين، كما أن الأشخاص الذين يمكنهم الضحك هم أقدر



على المحافظة على العلاقات الإجتماعية.

الأطفال والفكاهة:

يساعد حس الفكاهة على تعزيز العلاقة بين الأم والطفل والرضيع، فالرضّع من عمر ستة أشهر يستمتعون بمداعبة الأمهات لأقدامهم أو عند ممارسة أفعال اللهو الأخرى، حيث تظهر إبتساماتهم وضحكاتهم العالية أمام الجميع.

ومع إلتحاق الأطفال برياض الأطفال، ينظر الباحثون إلى الفكاهة بإعتبارها أحد الأساليب الإجتماعية للتكيّف مع الآخرين، فقد يتعثّر الطفل بالأرض ثم يقفز مسرعا لإستعادة وضعه الصحيح ويبتسم قائلا:»من فعل ذلك؟»

وتمثّل مشاركة الدعابات والإبتسامات تشجيعا متبادلا حيث أنها تضفي المتعة على التفاعل الإجتماعي وتبقى مرغوبة في المستقبل. ويدرك الأطفال في وقت مبكر للغاية كيفية إستخدام الفكاهة لمساعدتهم في علاقاتهم الإجتماعية.

ويسعد الأطفال برفاقهم الذين يتمتعون بحس فكاهة جيّد، إذ ينظر إليهم كأشخاص أكفاء ويسعى الجميع لمصادقتهم. ويعتقد علماء التربية وجود صلة بين حس الفكاهة والعلاقات الإيجابية بالأصدقاء من الطلاب وبالنجاح الدراسي. بل إنهم يتمتعون بالكفاءة في الصف الدراسي، وكذلك بقدر من الوعي المعرفي والإجتماعي وكلاهما يدلان على الصحة النفسية الجيدة.

نقل الوالدين لحس الفكاهة:

إكتشف علماء التربية بعض الروابط بين سلوكيات الآباء مع أطفالهم و بين تطور حس الفكاهة لدى الأطفال. إذ أنبأت نزعة المزاح لدى الآباء بالإستقلالية لدى الأولاد وإستخدامهم لحّس الفكاهة. وقد أجريت دراسة طويلة على الأطفال من عمر ثلاث سنوات أثناء تفاعلهم مع آبائهم وقاموا بمتابعة هؤلاء الأطفال حتّى بلغوا ثمانية عشر عاما. وخلصت الدراسة، إلى أن الأمهات والآباء الذين إستخدموا كثيرا المزاح والمرح مع الأولاد في عمر الثلاث سنوات، تميّزوا من الإستقلالية وروح الدعابة في سن الثامنة عشرة وحققوا نتائج نفسية طيبة.

ونختم بالقول تذكروا دوماً أن الطفل السعيد هو الأب السعيد في المستقبل...

والحمد لله رب العالمين

EDZ
Electricité de Zahlé

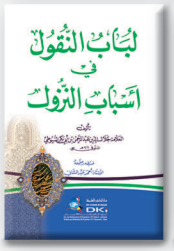


بدنا نبقى عَ ضـو
الضوّ بـدو إنتـاج

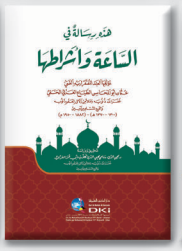
شركة كهرباء زحلة

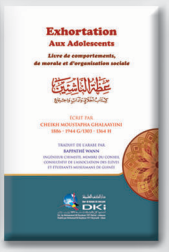










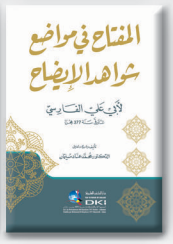














اللغات التي تنشر بها: العربية والفرنسية والإنكليزية والإسبانية

عدد الإصدارات لتاريخه: أكثر من ٧٥٠٠ عنوان كتاب

عدد الإصدارات السنوية: أكثر من ٣٥٠ عنوان كتاب جديد

هاتف: 12 / 11/ 804810 5 961+ ـ فاكس: 804813 5 961+
ص.ب: 9424 ـ 11 بيروت ـ لبنان رياض الصلح ـ بيروت 2290 1107
e-mail: sales@al-ilmiyah.com ـ info@al-ilmiyah.com
www.al-ilmiyah.com

